الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف- المسيلة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الصراع المرابطي النصراني في عهد علي بن يوسف

(500هـ-537هـ/ 1106م-1143م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

إعداد الطالـب:

- ديلمي محمد

تحت إشراف:

* د. شاكي عبد العزيز

السنة الجامعية : 1436هـ - 1437هـ / 2015م - 2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف- المسيلة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الصراع المرابطي النصراني في عهد علي بن يوسف

(500هـ-537هـ/ 1056-1144م)

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:

- ديلمي محمد

تحت إشراف:

* د. شاكي عبد العزيز

السنة الجامعية : 1436هـ - 1437هـ / 2016 - 2017

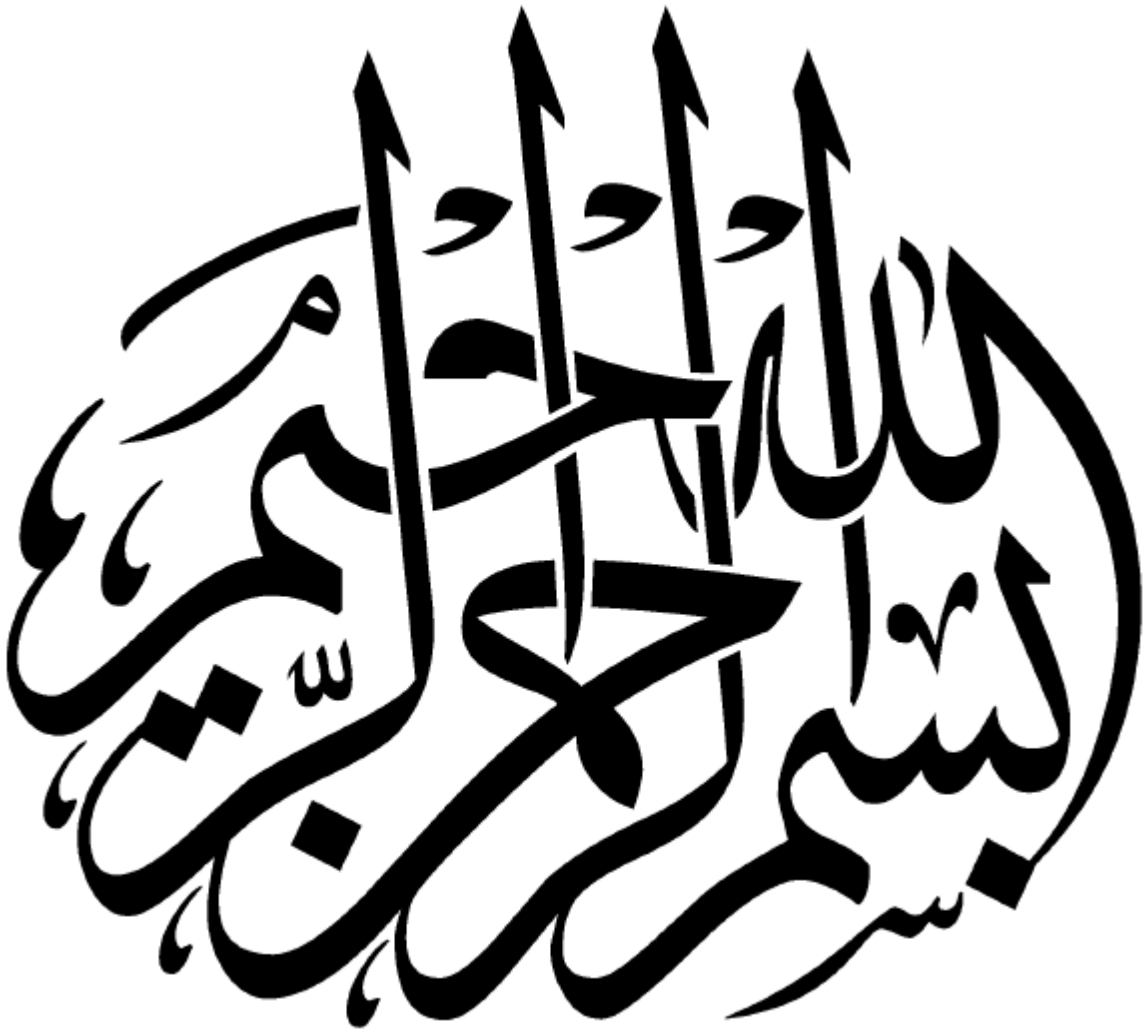
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أحمـــده تعالـــى فهـــو أهل الثنـــاء والتّحميـــد ، وأشكـــره سبحانـــه فالشـــكر لديه من أسباب المزيد.

إلى أستاذي وقدوتي في الحياة ، المشرف على العمل ، الدكتور شاكي عبد العزيز الذي كان لي أخا قبل أن يكون أستاذا ، فلم يبخل علي بسديد آرائه ، وبليغ توجيهاته ، برحابة صدر ، وسعة بال ، فله من الله حسن الثواب .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذة قسم التاريخ تخصص وسيط.

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذا البحث، وكلي استعداد للالتزام بملاحظاتهم وتوجيهاتهم .

كما أشكر إدارة قسم التاريخ على تفضلها بقبول الموضوع وإتاحة الفرصة لي لإعداد هذه المذكرة .

والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات

إهداء

إلى من قال فيهما الله جل جلاله: بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿13﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿14﴾

سورة لقمان الآية : الآية 14 - 15

إلى صاحبة الفضل بعد الله ، إلى أعز وأغلى إنسانة في الوجود إلى التي تبكي لبكائي وتفرح لفرحي، إلى التي منحتني الحنان والطمأنينة ، إلى أمي الحنون ، حفظها الله ورعاها ، ومن أسقامها عافاها.

إلى من تجرّع مرارة الشقاء وشق الظلمات لأجلي ، والذي غرس في حب العمل والأمانة والرجولة ، إلى الذي فتح الطريق أمامي للنجاح ، أبي العزيز دحماني.

إلى روح جدتي الغالية – رحمها الله وغفر لها – ، والتي لم تبخل علي بدعوات الخير، لكنها غادرت دون أن تشاركني فرحة نجاحي ، أهدي لها عملي المتواضع.

إلــى إخوتي: الخير – عبد الحليم – خير الدين ، وإلى ريحانة البيت والوحيدة أختي العزيزة: نادية ، إلى زوجة أخي وابنها إسلام.

إلى جميع زملائي في الدراسة الذين كانوا نعمة الإخوة لي أخص بذكر:

عبد الحكيم – البشير – كمال – مراد – عماد – محمد الأمين– نصر الدين.

عبد الكريم– التواتي.

إلى كل طلبة ماستر التاريخ الوسيط دفعة 2015 – 2016

إلى كل من وسعهم قلبي ونسيهم قلمي.

إلى كل هؤلاء وأولئك أهدي هذا العمل المتواضع.

الفهارس

فهرس الموضوعات

المقدمة..... أ- ك

الفصل الأول: الأوضاع السياسية للمرابطين والممالك النصرانية قبل ولاية علي بن يوسف....13

المبحث الأول : قيام دولة المرابطين 14

1- النسب وأصل التسمية.....14

2- جهود عبد الله بن ياسين في إقامة دولة المرابطين.....16

3- جهود يوسف بن تاشفين في ترسيخ دعائم دولة المرابطين.....19

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية للممالك النصرانية قبل دخول المرابطين للأندلس.....22

المبحث الثالث: جذور الصراع المرابطي النصراني قبل ولاية علي بن يوسف.....26

1-الأوضاع السياسية للإمارات الإسلامية في الأندلس.....26

2-تفاقم الخطر النصراني واستنجاد مسلمي الأندلس بالمرابطين.....27

3-موقعة الزلاقة.....29

4-موقعة حصن ليط.....30

5-ضم الأندلس وإنهاء حكم الطوائف.....31

الفصل الثاني : صراع المرابطين مع مملكة قشتالة في عهد علي بن يوسف.....34

المبحث الأول : موقعة أقليش 501هـ/ 1107م.....35

المبحث الثاني: حصار المرابطين لطليطلة واسترجاع المدن المجاورة لها.....41

المبحث الثالث: حملة الأمير مزدلي على طليطلة ووادي الحجارة 508هـ/1114م.....45

المبحث الرابع:استمرار الصراع المرابطي القشتالي حتى وفاة علي بن يوسف 537هـ.....47

الفصل الثالث : صراع المرابطين مع مملكة أرغون في عهد علي بن يوسف.....50

المبحث الأول : سقوط سرقسطة في يد النصارى 512هـ/1118م.....51

المبحث الثاني: موقعة كتندة 514هـ/ 1120م.....54

المبحث الثالث: حملة ألفونسو المحارب في الأندلس 519هـ/1125م.....56

المبحث الرابع: استمرار الصراع المرابطي الأراغوني حتى وفاة ألفونسو المحارب.....59

1- موقعة القلاعة 523هـ / 1129م 59

2- موقعة افراغة 528هـ / 1134م 61

الفصل الرابع : صراع المرابطين مع مملكتي البرتغال و قطلونية واختلال أحوال المرابطين في آخر أيام علي بن يوسف.....65
المبحث الأول : حملة الأمير سير بن أبي بكر على غرب الأندلس504هـ/1110م.....66
المبحث الثاني: موقعـــــة الــبورت 508هـ/ 1114م.....68
المبحث الثالث: حملة الأمير علي بن يوسف لفتح قلمورية 511هـ/ 1117م.....72
المبحث الرابع: أسباب اختلال أحوال المرابطين آخر أيام علي بن يوسف.....73
خاتمة.....77
الملاحق.....80
الببليوغرافيا.....86
الفهارس.....97
فهرس الأعلام.....98
فهرس الأماكن والمواضع.....103
فهرس الشعوب والقبائل والطوائف.....104
فهرس الموضوعات.....106

1- فهرس الأعلام

- أ -

ابن الأثير 15، 56، 63، 64، 65.

البرهانس 47.

ألفونسو السادس 25، 26 ،28، 32، 33، 37، 39، 40، 42، 52، 67.

ألفونسو المحارب 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 62، 63، 64، 65، 72.

- ب -

أبو بكر الصديق 15.

أبو بكر بن عمر 18، 19، 20،22،48.

- ت -

تاشفين بن علي 75.

- ج -

الجزولي 17.

- ح -

ابن الحاج 70، 71،72.

أبو حامد الغزالي 33.

ابن حمدين 44.

الحميري 62،64.

- خ -

ابن الخطيب 52.

- ر -

ابن ردمير 56، 61، 64.

ابن رشد 59.

- ز-

ابن أبي زرع 38، 40، 44، 45، 47، 54، 56، 71.

زينب (زوجة يوسف بن تاشفين) 20.

- س -

سانشو الكبير 24.

ابن سعيد المغربي 52.

السلاوي 54، 55.

سير بن أبي بكر 46، 61، 67، 68،80.

- ش -

أبو الطاهر تميم 36،37، 39، 40، 41، 46، 48، 53، 54، 55.

عبد الله بن بلقين 31، 33.

أبو عبد الله بن عائشة 38، 40، 41، 70، 72.

عبد الله بن ياسين 17، 18، 19 .

عبد الله عنان 54، 65، 67.

عبد المؤمن بن علي 75.

عبد الواحد المراكشي 69.

ابن عذاري 40، 45، 58، 64، 65.

علي بن يوسف 26، 36، 37، 41،42، 43،44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 52، 53، 56، 57، 60، 61، 62، 67، 68، 69، 72. 73، 74، 76،79، 80.

أبو عمران الفاسي 15.

- ف -

فرديناند الأول 24، 25 .

- ق -

ابن القطان 39، 40، 44.

القمبيطور 34.

- م -

المتوكل بن الأفطس 29، 30.

محمد بن تومرت 75،80.

محمد بن الحاج 37،80.

محمد بن فاطمة 38، 40،80.
مزدلي 46، 47، 48.
المستعين احمد بن هود 34، 52.
المعتصم بن صمادح 34.
موسى بن نصير 15.

- هـ -

هنري البرغواني 67، 68.

- و -

وجاج بن زلو 17.

- ي -

يحي بن ابراهيم الجدالي 17، 18.
يحي بن عمر 18، 19 .
يوسف أشباخ 53، 63، 64، 65، 68، 74، 75.
يوسف بن تاشفين 20، 21، 22، 29، 30، 31، 32، 33، 34.

2- فهرس الأماكن والمواضع

- أ -

أغمات 19، 20 ، 33.

أشبونة 67، 68.

اشبيلية 25، 26، 27، 28، 29،30، 33،46، 49، 56 .

أشكونية 50 .

افراغة 60، ، 62، 63، 64، 65.

إفريقيا 75.

أقليش 36، 38، 39، 40، 41، 42، 79.

الأندلس 17، 21، 23، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 36، 37، 39، 41، ،46، 48،52، 53، 55، 56، 57، 59، 60، ،64، 67، 68، 70، 72، 73، 74، 75، 76، 77،79، 80.

ب

برشلونة 25،69، 70، 72 .

بطليوس 25، 26، 28، 29، 31، 34،67، 68 .

بلنسية 28، 29، 38،41، 54، 55، 57، 59، 62.

بياسة 38، 48 .

- ت -

تلمسان 20، 22، 46.

تنس 22، 23.

- ث -

ثرفيرا 70.

- ج -

الجزائر 22، 23.

الجزيرة الخضراء 28، 30 .

جليقية 33، 26.

جيان 37، 38.

- د -

دانية 28،58 .

درعة 19.

الدمنة 22.

رباح 49، 50.

روطة 53.

- ز -

الزلاقة 30، 31، 32، 41.

- س -

سجلماسة 19.

سرقسطة 24، 26، 28، 31، 34، 52، 53، 54، 55، 57، 60، 64، 65، 70، 72، 79.

السوس 17، 19، 23.

- ش -

الشلف 22.

شنترين 67 ،68، 69 .

- ط -

طرسونة 55.

طرطوشة 60.

طلبيرة 42، 43،44، 49 .

طليطلة 25، 26، 27، 28،29، 33،42، 43، 45، 46، 47، 48، 49، 57، 67.

طنجة 15، 22، 23.

- غ -

غرناطة 26، 28، 31، 33،37، 39، 41، 46، 47، 49، 56،58، 59.

غياثة 22.

- ف -

فاس 20، 37.

- ق-

قرطبة 27، 29،37،39، 40، 42، 45، 50،56،47،46،45، 63، 75، 76 .

القلاعة 60، 61 .

قلمرية 67، 73، 74.

قونكة 42.

- ل -

ليط (حصن) 31، 32.

- م -

مالقة 31، 33.

مجريط 42.

مراكش 21، 22، 30، 31، 46، 50، 54 .

مرسية 28، 31، 32، 38، 40، 55، 56، 58، 59،61، 64، 72 .

المرية 28، 30، 33،46.

مصر 15.

مغراوة 20.

مكناسة 20، 22، 60، 62.

- ن -

نفيس 19 .

- و -

وادي الحجارة 43، 46.

وبذة 42.

وهران 22، 23.

- ي -

يابرة 67، 68.

3- فهرس الشعوب والقبائل والطوائف

- أ -

أراغون (الأراغونيون) 26، 53، 54، 58، 60، 61، 74.

اسبانيا 24، 28، 37،74.

الإفرنج 53، 54، 56.

بنو الأفطس 28.

- ب -

البربر 20، 28.

البرتغال 57، 67، 68،73، 74.

- ج -

جدالة 15، 16، 17، 18.

بني جهور 27.

- ح -

حمير (الحميرية) 15.

- ر -

الروم 39، 40، 43، 47،72.

- ز-

زناتة 20.

الزيريون 23.

- س -

السودان 18، 19، 21.

- ص -

صنهاجة 15، 16، 18، 19، 28،36.

- ق -

قشتالة (القشتاليون) 24، 25، 36، 37، 38، 46، 47، 48،52،67، 74،

75.

- ك -

كدميوة19.

- ل -

لمتونة15، 17، 18، 19، 21، 36، 40.

لمطة15، 22.

ليون 24، 25، 26.

- م -

المرابطون (الملثمون)15،19، 33، 34، 36، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 52، 53، 55، 67، 68، 70، 72، 73، 74، 75، 76،77.

مسوفة15، 18.

المصامدة 18،19 .

ملوك الطوائف (دول الطوائف)17،23، 25، 27،29، 29،31،33، 33، 34 .

- ن -

النصارى 25، 28، 29، 30، 33، 34، 38، 39، 40، 41، 43، 44، 45، 46، 47، 48،52، 53، 54، 55، 56، 58، 59، 60،62، 63، 64،65، 71، 74، 75.

- ي -

اليمن15.

كان المغرب الأقصى قبل منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تحكمه إمارات متفرقة ومتناحرة فيما بينها في صراع داخلي على السلطة، مما بعثر قوى المغاربة لانعدام حكومة مركزية موحدة تفرض وجودها على المنطقة ، فانعكس ذلك عن الأوضاع السياسية بعد أن بلغت الفوضى والاضطرابات ذروتها. وفي الوقت الذي كانت البلاد تمر بتلك الحالة شهدت المنطقة الجنوبية من المغرب الأقصى قيام حركة دينية تحت زعامة عبد الله بن ياسين هدفها تلقين سكان تلك المناطق تعاليم الدين الإسلامي السمحة. وسرعان ما انتشرت هذه الحركة الإصلاحية في معظم قبائل صنهاجة، إثر خروج المرابطين للجهاد ضد القبائل المخالفة لهم، وقد حققوا عدة انتصارات، توسعت رقعتها في عهد الأمير أبي بكر بن عمر، وعظمت أكثر في عهد الأمير يوسف بن تاشفين، الذي استطاع الاستيلاء على كامل بلاد المغرب الأقصى، وجزء من بلاد المغرب الأوسط، وبلاد السودان الغربي، وأسس بذلك كيانا سياسيا ضم كل هذه الأقطار عرف باسم الدولة المرابطية.

ولم يكن الأندلس أحسن حالا من المغرب بعد سقوط الدولة العامرية وانقسام البلاد إلى دويلات متناحرة فيما بينها كل واحدة منها تحاول السيطرة على قدر أكبر من تركة الدولة الأموية فساءت حالة البلاد، وازدادت سوءا نظرا للاعتداءات المتكررة التي كان يشنها النصارى على الأراضي الأندلسية ، وعجز ملوك الطوائف عن رد هجمات النصارى وما تبع ذلك من فرض إتاوات ، فساءت الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعانى الندلس من ويلات ذلك أكثر مما عاناه أهل المغرب ، مما جعلهم يقدمون على طلب النجدة من المرابطين للوقوف ضد أطماع النصارى ، فلبى يوسف بن تاشفين الدعوة ، وعبر إلى الأندلس وحقق أعظم انتصار له في معركة الزلاقة ، فكان هذا الانتصار بمثابة تحول سياسة بن تاشفين تجاه الأندلس.

ورغم وفاة يوسف بن تاشفين المؤسس الحقيقي للدولة، ظل المرابطون في عهد ابنه علي بن يوسف بن تاشفين سدا منيعا في وجه الممالك النصرانية المعادية للإسلام

والمسلمين، واستطاع هذا الأمير الشاب أن يستكمل مسيرة والده في الدفاع عن الأندلس و الوقوف في وجه حركة الاسترداد المسيحي.

أسباب اختيار الموضوع:

بعد تتبعي لأغلب الدراسات التي قدمت في تاريخ دولة المرابطين والتي انصب جلها على فترة التأسيس وعهد يوسف بن تاشفين مكتفية بالإشارة العابرة لعهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، دون أن تتناول بإسهاب الدور الكبير لعلي بن يوسف في جهاده ضد الممالك النصرانية في الأندلس، ومن بين الدراسات في هذا المجال نذكر على سبيل المثال لا للحصر: " **قيام دولة المرابطين** " للأستاذ حسن محمود، ودراسة أخرى بعنوان" **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين** "، لحمدي عبد المنعم، إضافة إلى دراسة ثالثة بعنوان " **الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين**" للأستاذ سلامة محمد سلمان الهرفي، وكذلك الدراسة التي قام بها الأستاذ شاكي عبد العزيز بعنوان " **التطور السياسي لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف**.

وهذا ما جعلني أحاول تسليط الضوء على حلقة من حلقات الصراع المرير بين المسلمين والمسيحيين في العصور الوسطى الإسلامية، وهذا من خلال جهاد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بالأندلس، والدور الهام الذي قام به لإيقاف زحف النصارى على بلاد الأندلس.

بناءا على ما تقدم كان الموضوع بعنوان :

الصراع المرابطي النصراني في عهد علي بن يوسف

(500هـ - 537هـ / 1106م - 1143م)

إشكالية الموضوع:

مما سبق نجد أنفسنا أمام الإشكال التالي: ما هي أبرز صور الصراع بين دولة المرابطين والممالك النصرانية في الأندلس خلال عهد علي بن يوسف؟ كيف كانت أوضاع

دولة المرابطين قبل ولاية علي؟ كيف كانت الأوضاع السياسية للممالك النصرانية قبل عبور المرابطين للأندلس؟ ما هي جذور الصراع المرابطي النصراني قبل ولاية علي؟ هل تمكن الأمير علي بن يوسف من الوقوف في وجه الأخطار النصرانية المحدقة ببلاد الإسلام في الأندلس خاصة مملكتي قشتالة و أراغون؟ ما هي أبرز المعارك التي خاضها المرابطين ضد الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الأيبيرية؟ هل شكلت الممالك النصرانية سيفا مسلطا على مسلمي الأندلس؟ ما هي أبرز الأسباب وراء اختلال أحوال المرابطين في آخر أيام علي بن يوسف؟

خطة البحث:

للإجابة على التساؤلات السالفة الذكر ارتأيت أن تكون الخطة التالية:

الفصل الأول: وكان تحت عنوان " **الأوضاع السياسية للمرابطين والممالك النصرانية قبل ولاية علي بن يوسف** "، أدرجت تحته ثلاثة مباحث، حيث خصصت المبحث الأول لقيام دولة المرابطين في المغرب،حتى تكون لي وللقارئ الكريم معرفة بهذه الدولة والظروف المحيطة بنشأتها وكذا أصلها، وتناولت فيها نسب المرابطين وأدرجت في أهم الروايات التاريخية التي تتناول أصل المرابطين، وأفردت كذلك عنصرا خاصا بدور الفقيه عبد الله بن ياسين في قيام دولة المرابطين، حيث كان له الدور الكبير في نشوء هذه الدولة وتكوين جيلها الأول، كذلك أفردت عنصر ثاني تناولت فيه دور يوسف بن تاشفين في ترسيخ دعائم دولة المرابطين، من خلال توسعاته في المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى ثم بناء مدينة مراكش وأبرزت كيف استطاع يوسف بن تاشفين أن يفرض الهيمنة المرابطية على ربوع المغرب الأقصى والصحراء وجزء من المغرب الأوسط، حتى كون إمبراطورية قوية وموحدة لها جيشها ومؤسساتها.

أما المبحث الثاني فخصصته للحديث عن الأوضاع السياسية للممالك النصرانية في الأندلس قبل دخول المرابطين، والتي كانت في حالة قوة وتكتل مما سهل عليها الاستيلاء على طليطلة،عكس الممالك الإسلامية التي كانت تعاني الضعف والانقسام.

تناولت في المبحث الثالث جذور الصراع المرابطي النصراني قبل ولاية علي بن يوسف، وأبرزت في هذا المبحث الحالة السيئة التي آل إليها مسلمو الأندلس نتيجة اشتداد الخطر النصراني على دولهم، هذا ما اضطر أمراء الطوائف للاستنجاد بأمير المرابطين يوسف بن تاشفين.

وتناولت فيه مختلف السفارات والرسائل المتبادلة بين هؤلاء الأمراء والأمير يوسف. الذي قبل في آخر المطاف العبور للأندلس لنجدة إخوانه المستضعفين. فتطرقت لعبور يوسف بن تاشفين للمرة الأولى وخوضه معركة الزلاقة ضد القوى النصرانية بقيادة ألفونسو السادس، وسردت وقائع هذه المعركة وأحداثها، والنتائج التي تمخضت عنها، وأفردت عنصرا كذلك للحديث عن العبور الثاني للأمير يوسف بن تاشفين للأندلس، وخوضه معركة ليط ضد النصارى، وأبرزت أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه المعركة.

وعرجت كذلك للعبور الثالث للأمير يوسف بن تاشفين إلى بلاد الأندلس، وقيامه بضم هذه البلاد إلى دولته، بعد أن قام بخلع أمراء الطوائف المتخاذلين، وكانت له معارك عديدة معهم، ومع النصارى في جميع أقطار بلاد الأندلس، وانتهت الكثير منها بانتصار المسلمين وانهزام القوى النصرانية، وأنهيت هذا المبحث بالحديث عن العبور الرابع والأخير لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، وتطرقت لمختلف الأعمال التي أنجزها خلال عبوره هذا، كتنظيم الإدارة، وعقد البيعة لولده علي، ووصيته له بمواصلة مقارعة النصارى بتحصين الثغور، وتجهيز الجيوش.

الفصل الثاني: وكان تحت عنوان " **صراع المرابطين مع مملكة قشتالة في عهد علي بن يوسف** "، وأدرجت تحته ثلاث مباحث، خصصت المبحث الأول للحديث عن موقعة أقليش501هـ/ 1107م وانتصار المسلمين الكاسح فيها، حيث رصدت تحركات الجيوش المرابطية وكذا الجيوش النصرانية إلى غاية وقوع المعركة ، وتطرقت لأهم نتائج هذه الواقعة

أما المبحث الثاني فتحدثت فيه عن حصار المرابطين لمدينة طليطلة الذي لم يكن مجديا، واستطاع المرابطون استرجاع بعض المدن الأخرى المجاورة لطليطلة مثل مجريط

ووادي الحجارة، أما المبحث الثالث فقد خصصته للحملة التي قام بها الأمير مزدلي على طليطلة ووادي الحجارة سنة 508هـ/1114م والتي أسفرت في البداية عن انتصار المرابطين في العديد من المعارك واسترجاع بعض الحصون، لكن سرعان ما تراجعوا خاصة بعد استشهاد الأمير مزدلي وابنه على يد القوات القشتالية.

أما المبحث الرابع فقد تطرقت فيه لمختلف المعارك بين المرابطين والقشتاليين إلى غاية وفاة أمير المرابطين علي بن يوسف سنة 537هـ.

الفصل الثالث: الذي حمل عنوان " **صراع المرابطين مع مملكة أراغون في عهد علي بن يوسف** " والذي أدرجت ضمنه أربع مباحث، المبحث الأول تطرقت فيه إلى سقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م، مع سرد التفاصيل والأحداث والنتائج الوخيمة من جراء سقوط إحدى أهم قلاع المسلمين في الأندلس.

أما المبحث الثاني فتناولت فيه معركة كتندة 514هـ/1120م، والهزيمة النكراء التي تعرضت إليها جيوش المرابطين ضد النصارى بقيادة ابن ردمير، وخلفت هذه الهزيمة غضب الأمير علي بن يوسف، الذي جاز بنفسه للأندلس للانتقام من النصارى لكنه فشل في ذلك لحصانة مدينة سرقسطة واكتفى بغزو نواحي طليطلة.

أما المبحث الثالث فتطرقت فيها إلى حملة ألفونسو المحارب في الأندلس، وتحدثت بإسهاب عن ترتيباتها ومجرياتها وطريق سيرها ، وكذلك أبرز نتائج هذي الحملة التي دامت أكثر من سنة واخترقت الأندلس من شمالها إلى جنوبها ومن غربها لشرقها.

واختتمت هذا الفصل بمبحث أخير تناولت فيه استمرار الصراع المرابطي الأراغوني حتى وفاة ألفونسو المحارب، وتطرقت فيه إلى موقعة القلعة(القلاعة) سنة 523هـ/1129م والتي اغتاظ أمير المرابطين للهزيمة فيها رغم إرساله لإمدادات عسكرية لحماية أهل بلنسية وتناولت في عنصر الأخير انتصار المسلمون الكبير في موقعة افراغة سنة 528هـ/1134م، وما ترتب عن هذه الواقعة خاصة عن مصير ألفونسو المحارب الذي اختلفت الروايات في وفاته.

الفصل الرابع: الذي كان بعنوان " **صراع المرابطين مع مملكتي البرتغال و قطلونية واختلال أحوال المرابطين آخر أيام علي بن يوسف** "، وأدرجت ضمنه أربع مباحث، كان أولها يتحدث عن الحملة التي وجها علي بن يوسف في بداية عام 504هـ/1111م بقيادة سير بن أبي بكر اللمتوني صوب مملكة البرتغال وتمكنه من استرجاع العديد من المدن على غرار يابرة و أشبونة وشنترة وشنترين.

أما المبحث الثاني فتطرقت فيه للحملة التي وجهها علي بن يوسف سنة 508هـ/1114م بقيادة محمد بن الحاج صوب أراضي برشلونة وفشلها في الاستيلاء عليها لحصانتها، غير أن النصارى نصبوا فخا وأوقعوا بابن الحاج وتمكنوا من قتله، فلما سمع علي بن يوسف بما حدث أرسل حملة أخرى لغزو برشلونة وحاصرها ما يقرب عن عشرين يوما، حيث دارت معركة عنيفة اضطر فيها المسلمون إلى الانسحاب، أما المبحث الثالث فتحدث فيه عن حملة الأمير علي بن يوسف سنة 511هـ/1117م لغزو مدينة قلمرية عاصمة البرتغال واقتحامه لها بعد حصار استمر ما يقرب عن عشرين يوما ثم انصرافه عنها، واختتمت هذا الفصل الأخير بمحاولة استنتاج أهم الأسباب وراء اختلال أحوال المرابطين في آخر أيام علي بن يوسف.

منهجية البحث:

أما المنهجية التي تناولت بها الموضوع، فقد تراوحت بين السرد التاريخي للأحداث، ونقدها، وتحليلها، ومقارنتها، وكانت عملية السرد اعتمادا على المصادر، وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التاريخية، وقد كان ذلك خاصة في حديثي عن مختلف المعارك التي خاضها المرابطين في بلاد الأندلس ضد الممالك النصرانية، وفي حالة وجود تباين في الروايات، مثلا عدد الجيوش المشاركة في موقعة أقليش لدى المسلمين والنصارى، أو اختلاف الروايات مثلا في مصرع ألفونسو المحارب، أرجح في كل هذا الرواية الأقرب للحدث زمنا ومكانا، والأكثر شهرة، والتي خضعت للمناقشة من قبل المحققين المعاصرين

من أمثال حسن أحمد محمود، ومحمد عبد الله عنان، وغيرهم، أو أرى أنها الأقرب إلى الصواب من غيرها بمقارنة النصوص.

وتخللت عملية سرد الأحداث، منهج التحليل والنقد لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفية، حيث كثفت من الاستشهاد بالنصوص في المتن والهامش، إما دعما لرأي أو مساندة لاستنتاج. كما حاولت الرد على التهم التي وجهها بعض المؤرخين الغربيين أمثال دوزي و أشباخ للمرابطين الذين اتهموهم بالتعصب، وأنهم ارتكبوا جرائم في حق النصارى وقمت بالتصدي لاتهاماتهم الباطلة أيضا عند محاولتهم التقليل من شأن الانتصارات التي حققها الأمير علي بن يوسف بن تاشفين في معاركه ضد القوى النصرانية، وهذا بالاعتماد على النصوص الواردة في مختلف المصادر العربية المعاصرة للحدث، أو القريبة من الحدث ككتاب الروض القرطاس لأبي زرع، أو كتاب الحلل الموشية لمؤلف مجهول.

دراسة المصادر والمراجع :

اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع – تماشيا مع الموضوع– يمكن تفصيلها كالآتي:

1-كتب التاريخ:

أ- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لابن عذاري المراكشي (حي سنة 712هـ/ 1112م) يعتبر ما أورده المؤلف المراكشي عن فترة المرابطين من أهم المصادر المتعلقة بحوادث تاريخهم في المغرب والأندلس، وقد انتفعت بالجزء الخاص بالمرابطين الني نشره إحسان عباس في دراستي عن أصل المرابطين وولاية يوسف بن تاشفين وتوسعاته في المغرب، وكذلك ولاية علي بن يوسف وجهاده في الأندلس.

ب- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** لابن أبي زرع الفاسي (حي سنة 726هـ / 1326م)، على الرغم أن العنوان يشير إلى أن الكتاب مخصص لدراسة تاريخ مدينة فاس إلا أن المؤلف لم يقف على تتبع مراحل تاريخ هذه المدينة وإنما تناول تاريخ المغرب الاقصى كله منذ سنة 145هـ إلى سنة 726م، وقد

استفدت منه في إلقاء الضوء على كثير من أحداث عصر المرابطين خاصة ما يتعلق بأصل المرابطين ونشأتهم ودعوة ابن ياسين، وجهود الأمراء المرابطين الأوائل في السيطرة على المغرب الأقصى، ثم عبور المرابطين إلى الأندلس، وجهادهم ضد الممالك النصرانية.

ب- **تاريخ ابن خلدون (العبر)** لعبد الرحمان ابن خلدون (توفي سنة 808هـ/1405م) حيث يعتبر الكتاب من المصادر الهامة المؤرخة لبلاد المغرب خاصة الجزء السادس منه، فهو يتناول تاريخ بلاد المغرب ويسرد لنا الأخبار والحقائق بالترتيب، وقد تناول التاريخ المرابطي ومن بعده الموحدي بشيء من التفصيل.

ج- **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** لمؤلف أندلسي مجهول عاش في القرن الثامن الهجري (حي سنة 783هـ / 1381م)، ويضم هذا الكتاب حقائق تاريخية هامة تتعلق بقيام دولة المرابطين وجهادهم في المغرب والأندلس، وقد اعتمدت عليه كثيرا عند دراستي لجهاد المرابطين في الأندلس.

د- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** لعبد الواحد المراكشي(ت 647هـ/1249م) يعتبر الكتاب ذو أهمية كبيرة لأن صاحبه قريب من فترة المرابطين، وعايش فترة الموحدين، وينقل لنا الأخبار بالتفصيل عن فترة علي بن يوسف وعن أهم كتاباته، كما شخص لنا المؤرخ بعض أسباب اختلال أحوال المرابطين في آخر أيام علي بن يوسف.

2-كتب التراجم :

أ- **الحلة السيراء:** لمحمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الآبار (ت658/1260م)، وهو كتاب في جزأين حققه حسين مؤنس، حوى على تراجم للكثير من الشخصيات السياسية والعلمية، تخللت هذه التراجم الكثير من المعلومات التاريخية، وقد استعنت به في التعرف على أحوال بلاد الأندلس قبل ولاية علي بن يوسف.

ب- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:** لابن بسام الشنتيري (ت542هـ/1147م)، وقد جاء في كتابه على شكل موسوعة أدبية، ويعد من أهم المصادر تاريخ الأندلس، وتاريخ أدبائها وشعراءها، وكان معاصرا للمرابطين، وشهد ذلك الصراع المرير بين الإسلام

والنصرانية في بلاد الأندلس.واعتمدت كذلك على كتب أخرى قدمت لي حقائق ومعلومات عن بعض شخصيات هذا البحث على غرار كتاب " **سير أعلام النبلاء للذهبي**" حيث أفادني في سيرة علي بن يوسف ، وهناك كتاب هام لابن خلكان بعنوان " **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** ".

3- كتب الرحلات والجغرافيا :

أ- **كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** لأبي عبيد الله البكري (ت487هـ/1094م) وتمكن أهمية هذا الكتاب في أنه يرصد لنا الأخبار بالتفصيل عن بدايات المرابطين وعن حركة ابن ياسين، كما يقدم لنا وصفا مفصلا عن بلاد المغرب والسودان الغربي إلى غاية تأسيس مراكش عاصمة المرابطين، وقد استفدت من هذا الكتاب في الفصل الأول لان المؤرخ لم يطل به العمر إلى غاية فترة علي بن يوسف.

ب- **الاستبصار في عجائب الأمصار** لمؤرخ مجهول عاش في القرن السادس الهجري (حي سنة 587هـ/1191م) وهو شبيه بكتاب البكري، إلا أنه جاء في فترة لاحقة أي في العهد الموحدي، حيث انه ينقل لنا أخبار عن المدن المغربية وما جرى بها من حوادث، كما يقدم لنا وصفا مفصلا عن مدن السودان الغربي.

ت- **الروض المعطار في خبر الأقطار** لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري (ت727هـ/1327م)، يرصد لنا هذا الكتاب وصفا مفصلا عن المدن المغربية والأندلسية، وبعض أوصافها وأحوال سكانها ومعيشتهم، كما ينقل لنا أحيانا معلومات تاريخية هامة خدمتني في البحث.

4-المراجع الحديثة:

واستعنت في بحثي أيضا بمجموعة كبيرة من الدراسات الجامعية الحديثة والأعمال الجامعية، والتي كانت لي سندا قويا في دراستي لكثير من الجوانب، حيث أرشدتني هذه الأعمال إلى التعرف على آراء أصحابها حول بعض الأحداث، ونذكر بعض هذه الكتب:

أ- **قيام دولة المرابطين:** لحسن أحمد محمود، الذي يعد من السابقين الأوائل في خوض غمار البحث حول المرابطين، وكان له السبق في قراءة المصادر المرابطية ونقدها ومقارنتها، فقد عبد الطريق لكل من يريد البحث حول الدولة المرابطية، وقد اعتمدت عليه في قيام دولة المرابطين بالمغرب.

ب- **دولة الإسلام في الأندلس:** لمحمد عبد الله عنان، وهي موسوعة اعتنت بتاريخ المسلمين في الأندلس من الفتح حتى السقوط، وقد استفدت كثيرا من الجزء الخاص بالمرابطين في الأندلس.

كما اعتمدت على مؤلفات الأستاذ حسين مؤنس التي خدمتني كثيرا ومن هذه المؤلفات " **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين**" ، " **شيوخ الأندلس** " واعتمدت كذلك على " **كتاب التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**" للأستاذ حمدي عبد المنعم.

ومن أهم الكتب المترجمة إلى العربية التي اعتمدت عليها كتاب " **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** " للمستشرق الألماني يوسف أشباخ، حيث أن هذا الكتاب ذو أهمية كبيرة للدارسين لهذه الفترة، فقد قدم لي معلومات هامة جدا عن فترة علي بن يوسف وجهاده للممالك النصرانية في الأندلس، وما يزيد هذا الكتاب أهمية هو اعتماده على العديد من المصادر الأجنبية، وهناك كتاب كارل بروكلمان بعنوان " **تاريخ الشعوب الإسلامية** " وكذلك كتاب " **المسلمون في الأندلس** " لرينهرت دوزي.

وإلى جانب هذه المصادر والمراجع اعتمدت على مجموعة من المراجع باللغة الأجنبية، وكذلك بعض الرسائل الجامعية، والمقالات الواردة في الكتب والمجالات التاريخية.

صعوبات البحث:

وبما أن أي بحث علمي لا يخلو بالمرة من صعوبات، ونحسب ذلك أمرا طبيعيا، فإن أشد الصعوبات كانت صعوبة الإلمام بمختلف الروايات التاريخية الموجودة في المصادر والترجيح فيما بينها، وهذا الاختلاف بين الروايات، وتباينها في الكثير من الأمور، وفي أدق

التفاصيل. ومن بين الصعوبات الأخرى افتقادي لبعض المصادر على غرار كتابي " **تقصي الأنباء في سياسة الرؤساء** " و " **الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية** " لابن الصيرفي أبو بكر يحي بن محمد الأنصاري الغرناطي.

ومن بين الصعوبات الأخرى ذاتية المؤرخين حيث صادفت في بحثي انحياز بعضهم إلى جهة بعينها ضد جهة أخرى، خاصة تلك المصادر التي راحت تمجد الموحدين على حساب المرابطين، دون أن نغفل تحامل بعض المؤرخين المستشرقين أمثال رينهرت دوزي و أشباخ، الذين حاولوا طمس تاريخ دولة المرابطين المشرق، خاصة جانب الجهاد ضد الممالك النصرانية، والنيل من أشهر زعماءها على غرار علي بن يوسف.

كما واجهتني مشكلة ضيق الوقت، حيث لم تكن المدة كافية للإطلاع وبصفة جيدة على كل مصادر البحث ومراجعه، ولتحليل الأفكار، وترجيح الروايات، واستنتاج الخلاصات.

الشكر والعرفان:

وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، أخص بالذكر الأستاذ المشرف على البحث الدكتور شاكي عبد العزيز، الذي لم يبخل عليا بتوجيهاته القيمة، ونصائحه السديدة، وكل من ساعدني سواء من قريب أو بعيد.

مقدمة

الفصـــــــــــــــل الأول:

الأوضاع السياسية للمرابطين والممالك النصرانية قبل ولاية علي بن يوسف

المبحث الأول : قيـــام دولـــة المرابطيـــن فـــي المغـــرب

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية للممالك النصرانية قبل دخول المرابطين للأندلس

المبحث الثالث: جـذور الصـراع المرابطـي النصرانـي قبـل ولايـة علـي بن يوسف

المبحث الأول : قيام دولة المرابطين في المغرب

1- النسب وأصل التسمية

ينسب المرابطون إلى القبائل الصنهاجية الحميرية[1] التي تنقسم بدورها إلى سبعين قبيلة[2] وهم من البدو الرحل[3]؛ ومن بينها: لمطة، وجدالة، ومسوفة، ولمتونة[4] الضاربة في الجنوب حتى بلاد السنغال مرورا والمسيطرة على الشعوب الزنجية المجاورة.[5]

وهذه القبائل هي التي خرجت من اليمن أيام أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– إلى الشام ثم إلى مصر، ودخلوا منها إلى المغرب مع موسى بن نصير، وتوجهوا مع طارق بن زياد إلى طنجة، فأحبوا الانفراد ودخلوا الصحراء واستوطنوها[6] وهم أول من ملك الصحراء من لمتونة [7] واتخذوا اللثام شعارا لهم[8]، تولى أمر صنهاجة ثلاثة أمراء ليصل دور يحيى

---

(1) مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار و عبد القادر زمامه، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، 1979، ص17 ؛ يقول أحمد مختار العبادي: أن المرابطون لفظ أطلقه عبد الله بن ياسين على أتباعه بعد بنائه لرباط على جزيرة بالقرب من مصب نهر السنغال من أجل العبادة. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ، 2001، ص292.

(2) ابن أبي زرع علي الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص120.

(3) اسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،1988، ص116.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص152.

(5) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، د– ت، 1948، ص 318.

(6) ابن الأثير أبو الحسن علي الجزري: الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1987 ، ج8، ص. ص 327 – 328.

(7) من أكبر قبائل صنهاجة الصحراء، تمتد بلادها على شواطئ المحيط الأطلسي من منطقة تلي لمطة وجزولة، وهي تملك الزعامة على غيرها من القبائل الصنهاجية خاصة في عهد المرابطين. ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص101؛ الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983، ص125. أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، ج5، ص184.

(8) تفيد الرواية التاريخية أنهم تلثموا للتأقلم مع التغيرات المناخية– الحر والبرد– كما يفعل العرب وهناك من يقول: أن طائفة من لمتونة خرجت غائرة على عدو لها، فخالفها العدو إلى ديارهم ولم يكن هناك سوى الشيوخ والأطفال والنساء اللواتي تلثمن وحملن السلاح دفاعا عن القبيلة فظنهم العدو رجالا فتراجع. ورأى آخر أنهم اتخذوا اللثام حياء لما اتصفوا به

بن إبراهيم[1]،الذي خرج لأداء فريضة الحج، واجتاز في إيابه مدينة القيروان[2] سنة 440هـ/1048م، فحضر بها مجلس الفقيه المدرس أبي عمران الفاسي[3] شيخ المذهب المالكي[4] فسأله عن قبيلته ووطنه فذكر له أنه من الصحراء من قبيلة جدالة إحدى قبائل صنهاجة فقال له الفقيه: ما مذهبكم؟ فقال له: ما لنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب ، فما عندنا في الصحراء من هذا الشيء غير الشهادتين والصلاة في بعض الخاصة، ولا يصل إلينا إلا بعض تجار جهال لا علم عندهم، وفينا أقوام يحرصون على تعلم القرآن وطلب العلم، ويرغبون في التفقه في الدين لو وجدوا إلى ذلك سبيلا[5]، فابعث معي من يعلمهم شعائر الإسلام[6]. فقال له الفقيه: سأنظر لك في ذلك إن شاء الله تعالى[7]. فندب تلاميذه إلى ذلك فامتنعوا وأشفقوا من دخول الصحراء.[8]

من كرم وشجاعة. ابن الأثير: المصدر السابق،ج 8 ، ص330 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ،1994،ج7، ص.ص128-129 .

[1] القلقشندي: المصدر السابق، ج 5 ، ص184.

[2] مدينة عظيمة بافريقية، وهي أجل مدينة بأرض المغرب جمعت بين طيب الهواء، وعذوبة الماء وجميع المحاسن، اختطها عقبة بن نافع الفهري، وكان فيها من العلماء والفقهاء ما كان في البصرة. اليعقوبي: كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988، ص104؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988، ص81 ؛ الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت، ص109وما بعدها.

[3] هو أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي الحاج الفاسي، نزيل القيروان، ولد سنة 368هـ، وأصله من فاس، تفقه بالقيروان ثم قرطبة. ورحل إلى المشرق، وأخذ العلم بمصر، ومكة وبغداد، وكان فقيها عالما ذو هيبة ووقار، توفي سنة 430هـ، وقبره مشهور بالقيروان. ،ثم عاد إلى القيروان. أبو زيد عبد الرحمان الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد ناضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1978، ج3، ص.ص159-160؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت،ج2، ص264.

[4] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون- المسمى وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص 243.

[5] مؤلف مجهول: المصدر السابق ، ص. ص19- 20.

[6] ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8 ، 328.

[7] مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص20.

[8] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص123.

فدله الفقيه على رجل من فقهاء المغرب الأقصى مستوطن بالسوس[1]. يدعى وجاج بن زلو اللمطي[2]، فخاطبه في القضية وأكد عليه في المشاركة فيها، من خلال رسالة أرسلها إليه: "إذا وصلك كتابي هذا فابعث مع حامله تلميذا من تلاميذك يعلمهم ويدرسهم" ولما وصل يحيى بن إبراهيم اجتمع به ودفع له كتابه ورحب به وأكرمه وأختار له رجل يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولي[3]، وأرسله معه، ولما وصل بلاد كدالة مع ابراهيم بن يحي الكدالي فرحت به قبائل لمتونة وأكرموه وعظموه.[4]

2- جهود عبد الله بن ياسين في إقامة دولة المرابطين

لما وصل يحي بن إبراهيم وعبد الله بن ياسين إلى قبائل جدالة ولمتونة جعل يعلمهم الدين ويبين لهم شرائع السنة وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر[5]، فلما رأوا تشدده عليهم في ترك ما هم عليه من منكرات تبرؤوا منه وهجروه وقالوا له: "أما ما ذكرت من الصلاة والزكاة فهو قريب، وأما قولك: من قتل يقتل ومن سرق يقطع، ومن زنى يجلد أو يرجم فأمر لا نلتزمه"[6] فثقل ذلك عليه وقرر الرحيل إلى السودان، لكن يحي بن إبراهيم أشار عليه

---

(1) تقع في أقصى بلاد المغرب، وهي مدينة جليلة وحاضرة جامعة لكل خير وفضل يكثر بها السكر الذي تصنع من أشياء كثيرة، ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970، ص123؛ مرمول كاربخال: إفريقيا، ترجمة:محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف،الرباط، 1984،ج2،ص208 وما بعدها.

(2) من أهل السوس الأقصى، رحل إلى القيروان فأخذ عن أبي عمران الفاسي، ثم عاد إلى السوس فبنى دارا سماها دار المرابطين. جعلها لطلبة العلم وقراء القرآن، وكان المصامدة يزورونه ، توفي حسب بعض المصادر سنة 445هـ. أبو يعقوب التادلي : التشوف إلى رجال التصوف ، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب ، ط2، الرباط، 1997، ص89.

(3) ولد عبد الله الجزولي من أب صنهاجي يدعى بن مكوك بن سير بن علي ، واسم أمه تين يزامان من أهل جزولة من قرية تسمى تماماناوت في طرف صحراء مدينة غانة، وفي غرب إفريقيا على تخوم بلاد السودان، ولم تذكر كتب التاريخ شيئا عن طفولته وتاريخ ولادته، حيث اكتفت بذكر تحصيله للعلم عند فقيه السوس وجاج بن زلو اللمطي، ثم ذكرت المصادر التاريخية بأنه رحل للأندلس في عهد ملوك الطوائف، فأقام بها سبع سنين، وتحصل فيها على علوم كثيرة، فأصبح بذلك فقيها في أمور الدين والدنيا. البكري: المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن واندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ج2، ص859 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4،ص10 ؛ مجهول: المصدر السابق، ص20.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص124.

(5) نفس المصدر، ص. ص 123- 125.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص328.

بالذهاب إلى جزيرة في البحر ليتعبد فيها. فذهب إليها ودخل معه سبعة من نفر جدالة، معهم يحي بن عمر وأخوه أبو بكر، حيث كونوا رباطا[1] ومنه جاءت كلمة المرابط أي الملازم للثغر للدفاع عن الإسلام ومن ذلك قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَ صَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونْ » [2].

جذب إليهم الناس، فأحبوه واجتمعوا حوله نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة [3]وهم يؤمنون برسالة الفقه المالكي القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4] فأخذ يعلمهم يعلمهم دين الإسلام من الكتاب والسنة، ثم دعاهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة، وذلك بإرسال رؤساء القبائل إلى قبائلهم ليعلموهم أصول الدين ويجاهدوا من رفض فكان ذلك فقاتلوا قبائل جدالة ولمتونة ومسوفة حتى أطاعوهم فاشتهر أمرهم في جميع بلاد الصحراء وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وسائر بلاد المغرب.[5]

ولما هلك يحي بن إبراهيم[6] أراد عبد الله بن ياسين تقديم غيره ليقوم بحروبهم، فوقع الاختيار على أبي زكريا يحي بن عمر اللمتوني، الذي تمكن من الاستيلاء على جميع بلاد الصحراء، إذ غزا بلاد السودان، وفي سنة 447هـ/1055م، استنجد به أهل سجلماسة[7]

---

[1] جمعها رُبُطٌ، ويعني لغة ما يربط به الخيل، أو ملازمته ثغر العدو. ابن منظور: لسان العرب،ط3 ،دار صادر، بيروت، 1994،ج7 ص103؛ الزمشخري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص151؛ ومن كلمة رباط أشتق اسم دولة المرابطين، وهناك من أرجعها إلى شدة صبرهم، وحسن بلائهم في المعارك. محمد الأمين بلغيث: فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، منشورات أنتر سيتي، ط1، الجزائر،2007، ص37 وما بعدها.

[2] سورة آل عمران، الآية 200.

[3] ابن أبي زرع: المصدر السابق ، ص. ص125- 126 .

[4] محمد الأمين بلغيث: "مشاركة يهود الأندلس الاقتصادية في عصر المرابطين ودورهم في نقل المعرفة الإسلامية إلى الغرب«ترجمة»"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد السادس ، قسنطينة ، 2005، ص22.

[5] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 126.

[6] ابن خلدون:المصدر السابق، ج 6 ، ص243.

[7] بلدة يسكنها البربر بها سور، وأسواق وقرى متصلة وعمارات ومزارع كثيرة، وهي على نهر سجلماسة النازل إليها. الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتاب، بيروت، 1989، ج1، ص227.

ودرعة لما نالهم من جور أميرها مسعود بن وانودين الزناتي المغراوي، وهزم هذا الأخير وقتل.[1]

ولما هلك يحي بن عمر سنة 448هـ/1056م ، قدم عبد الله بن ياسين أخوه أبو بكر بن عمر اللمتوني.[2]مكانه الذي بايعته لمتونة وسائر الملثمين وأهل سجلماسة ودرعة، فغزا بلاد المصامدة: أغمات[3] وريكة، وهيلانة ، وهزميرة وبلاد السوس [4]، وماسة و جزولة و و تارودانت، ثم فتح تادلا[5] وجبال درن ونفيس وكدميوة، ثم ساروا إلى بلاد تامسنا وفتحوها. وفتحوها.

وفي أثناء ذلك توفي عبد الله بن ياسين سنة 451هـ/1059م [6] صاحب الانتفاضة الدينية الإصلاحية التي ألفت بين قلوب قبائل صنهاجة ووحدت صفوفهم على أسس دينية وأخلاقية صحيحة، فخلق قوة دينية سلفية تقوم على الإيمان الراسخ وإقامة شعائر الإسلام وفق السنة النبوية[7]، كما قام بإلغاء الضرائب غير العادلة التي تتنافى مع الكتاب والسنة وحل محلها الزكاة والأخماس والأعشار. وطالب الأغنياء بمراعاة الفقراء وخصص لبيت المال عمالا يسهرون على المراقبة والمحاسبة حرصا على صيانة أموال المسلمين ونشر العدل ورفع الظلم في أنحاء المغرب.[8]

---

[1] ابن خلدون : المصدر السابق، ج 6 ، ص243.

[2] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص128.

[3] تقع أغمات شرق مراكش وهي مدينة قديمة وحصينة، اتخذها يوسف بن تاشفين قاعدة لملكه قبل بناء مراكش. لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1977 ، ج2، ص118.

[4] ابن الأثير : المصدر السابق، ج8 ، ص329.

[5] تادلا مدينة أثرية قديمة بنى فيها الملثمون حصنا عظيما منيعا، فيها الجامع والأسواق، وأحاطت به القبائل من كل الجهات.فهو حقيق بالمملكة. مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار– وصف مكة والمدينة ومصر، وبلاد المغرب لكاتب مراكشي من كتاب القرن هـ/12م–، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، ط2، دار الشؤون الثقافية" آفاق عربية"، بغداد ،1986 ، ص200.

[6] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص132.

[7] أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص.ص290– 292.

[8] محمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2004، ص109.

وفي سنة 452هـ/1060م خرج أبو بكر بن عمر بجيوشه إلى بلاد المغرب، ففتح بلاد فازاز وزناتة[1] ومكناسة ، ليرتحل إلى لواتة ثم أغمات أين تزوج بزينب بنت إسحاق الهواري وبقي هناك إلى أن بلغه اختلال أحوال الصحراء، فخرج إليها واستقدم ابن عمه يوسف بن تاشفين مكانه[2]، وتزوج بزوجته زينب[3]، وطلب منه قتال مغراوة وبني يفرن وقبائل البربر وزناتة فرجع يوسف بن تاشفين بنصف الجيش بينما ذهب النصف الآخر مع أبي بكر بن عمر سنة 453هـ/1061م. [4]

3- جهود يوسف بن تاشفين في ترسيخ دعائم دولة المرابطين

سار يوسف بن تاشفين[5] بنصف الجيش الذي تركه أبو بكر، فنزل جبال زناتة بالمغرب بالمغرب وافتتح فاس[6] صلحا سنة 455هـ/1063م، ليفتتحها عنوة سنة 462هـ/1069م، وهدم أسوار العدوتين الفاصلة بين القرويين والأندلسيين. كما افتتح تلمسان واستولى على المغرب الأقصى[7] وفي سنة 464هـ/1071م قوي أمره وعظمت شوكته فاشترى جملة من عبيد السودان نحو ألفين. وبعث إلى الأندلس فاشترى جملة من العلوج نحو مئتين وخمسين

---

(1) قبيلة من البربر، فرع البتر، لها بطون عظيمة، موطنهم من تاهرت إلى فاس، أكثر أهلها فرسان يركبون الخيل.ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص495 وما بعدها.

(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق،ص.ص167- 169.

(3) ابن عذراي أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج، كولان و.ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج4، ص18.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص134.

(5) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت بن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن مانية بن ونمالي بن تاليت الصنهاجي الحميري، يكنى بأبي يعقوب من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، أمه فاطمة بنت سير بن يحي بن وجاج بن ورتانطق، له 6 أبناء منهم علي، ووزيره صهره سير بن أبي بكر. ابن عذراي: المصدر السابق،ج4 ، ص46 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤووط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ج29، ص.ص73-74؛ MARC BERGE : les arabes- histoire et civilisation des arabes et du monde musulman des origines à la chute du royaume de grenade-,édition lidis, paris,1983,p:154.

(6) فاس مدينة بالمغرب الأقصى، سميت كذلك لأنهم عندما شرعوا في حفر أساسها وجدوا فأسا في موضع الحفر. فيها عدوتان: الأولى عدوة الأندلسيين التي بناها إدريس بن عبد الله مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب والثانية عدوة القرويين وقد بناها بعدها. القلقشندي: المصدر السابق، ج5 ، ص148.

(7) نفس المصدر، ص185.

فارس[1]. وفي سنة 465هـ/1072م جاء أبو بكر ليعزله نظرا لما سمعه عن ضخامة ملكه. فدار حوار بينهما خرج منه يوسف بن تاشفين بوصية من أبي بكر، قال له فيها: " يا يوسف أنت أخي، وابن عمي، ولم أر من يقوم بأمر المغرب غيرك، ولا أحق به منك وأنا لا غناء لي عن الصحراء، وما جئت إلا لأسلم الأمر إليك وأهنئك في بلادك... فشكره يوسف على ذلك. وأحضر أشياخ لمتونة وأعيان الدولة... وأشهد على نفسه بالتخلي له عن الأمر بوطن المغرب"[2]، جرت عادة المرابطين أن تعقد البيعة للأمير حسب هذا الترتيب: أفراد الأسرة المالكة، فالأمراء، فرؤساء القبائل، ثم عمال الدولة[3]، ثم البيعة في المساجد العامة، وهذا دليل على أن أمر الملك كان يسير على نظام الشورى المتدرجة[4]. فعاد أبو بكر إلى الصحراء وبقي بها إلى أن توفي.

فاجتمع على يوسف طوائف المرابطين وملكوه عليهم، ولقبوه بأمير المسلمين[5]، وأعلن ولاءه للخليفة العباسي ببغداد فأسس مدينة مراكش[6]. ليفتتح المغرب الذي كان تحت حكم الزناتيين وغزا الدمنة من بلاد طنجة[7]

---

(1) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص25.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4 ، ص25.

(3) عبد عون الروضان: موسوعة تاريخ العرب–تاريخ، ممالك، دول،حضارة–، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ج2، ص644.

(4) محمود السيد: المرجع السابق، ص67.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8 ، ص330 ؛ وابن عذراي: المصدر السابق، ج 4 ، ص27.

(6) كما يوجد اختلاف في سنة تأسيسها ومؤسسها. فصاحب الحلل الموشية يقول أنها تأسست في 462هـ على يد أبو بكر بكر بن عمر، ص23؛ بينما يذكر ابن أبي زرع في كتاب الأنيس المطرب، ص138؛ وابن خلدون في كتابه العبر ،ج 6 ،ص 245 ؛ و القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، ج 5 ، ص185 أنها تأسست سنة 454هـ على يد يوسف بن تاشفين.

(7) هي إحدى مدن المغرب الأقصى أسسها الرومان عندما كانوا مستولين على الأندلس، موقعها على شاطئ المحيط، على على بعد خمسين فرسخا من فاس في جهة الشمال، تحيط بها أسوار متينة محصنة بخنادق وحصون، وهي مليئة بالمراعي الخصبة مزدانة بالبساتين لكثرة المياه. البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص104 وما بعدها ؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، 2002، ص147.

وفتح جبل علودان في سنة 465هـ/1072م [1]، وفتح مكناسة واستنزل منها الخير بن خزر الزناتي سنة 466هـ/1073م. [2]

وفي سنة 467هـ/1074م، فتح جبال غياثة وبن مكود وبن رهينة، وولى بعض قادته على المناطق المفتوحة.[3]

وفي سنة 470هـ/1077م جدد العساكر وضم إليهم مجموعة من الحشم – جزولة ولمطة...–،ومجموعة من الداخلين– الأعلاج–. فاجتمع له نحو ثلاثة آلاف فارس.[4]

وفي سنة 473هـ/1080م، فتح يوسف بن تاشفين وجدة وتنس ووهران[5] وجبال ونشريس وأعمال شلف إلى الجزائر[6]؛ التي بنى بها الجامع الكبير[7]. ورجع إلى مراكش عام عام 475هـ/1082م.

فصار يوسف الحاكم الشرعي للدولة بعد أبي بكر بن عمر، حيث قام بسلسلة من الأعمال الداخلية والخارجية لتدعيم دولته الناشئة، وبنى أسطولا واحتل الثغور الشمالية: سبتة، طنجة، مليلة ووحد المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط، وتوسع إلى تلمسان ووهران وتنس والجزائر، ليصل إلى حدود الصنهاجيين: بني حماد والزيريين في إفريقية.

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6 ، ص247.

[2] مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص28.

[3] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص142.

[4] مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص33.

[5] وهران على ضفة البحر وهي مدينة كبيرة، تجلب إليها الحنطة فيسير بها التجار إلى بلدان أخرى كثيرة. الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة ليدن،1866 ص128.

[6] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص143؛ MAHFOUD KADDACHE: l'algerie medievale ,société nationale d'édition et de diffusion, alger,1982,p:101.

[7] سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس–عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين–، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985م، ص.ص52– 53.

وتوقف هناك كونهما من بني عمومته[1] فدانت له بذلك بلاد المغرب من العدوة من جزائر بني مزغنة[2] إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى.[3]

تمكن من تأسيس إمبراطورية قوية وموحدة لها جيشها ومؤسساتها. ولما تمهدت له البلاد المغربية تاق إلى العبور إلى الأندلس.[4]

المبحث الثاني:الأوضاع السياسية للممالك النصرانية قبل دخول المرابطين للأندلس

ارتبطت نشأة الممالك النصرانية وتطورها بحركة الاسترداد التي ظهرت في شبه الجزيرة الإيبيرية [5]هذه الحركة التي أخذت في النمو شيئا فشيئا، وبدأت تأخذ شكلا أكثر وضوحا بعد سقوط الخلافة الأموية وقيام دول الطوائف [6] ، وقد استغلت القوى النصرانية ضعف

---

(1) أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص.ص327-328.

(2) جزائر بني مزغنة مدينة أزلية على ضفة البحر، قديمة البناء، فيها آثار تدل على أنها كانت دار مملكة لسابق الأمم، يتصل بها فحص متيجة، كانت بها كنيسة عظيمة و بها مرسى يقابله في الأندلس مرسى مثله. مؤلف مجهول: الاستبصار، ص132.

(3) السوس الأقصى إقليم جنوب مراكش بين المحيط الأطلسي وجبال الأطلس الكبرى، ينقسم إلى قسمين أدنى وأقصى. دخله يوسف بن تاشفين عام (478هـ/1085م) لكنه لم يستوطنه. دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتناوي وآخرون، تحقيق: محمد مهدي علام، ج12، ص.ص369-370.

(4) تم فتح بلاد الأندلس سنة 92هـ/711م، على يد طارق بن زياد، والى موسى بن نصير أمير إفريقية في عهد بني أمية. ابن عبد الحكم: فتوح أفريقيا والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص70 وما بعدها؛ البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق: عبد القادر محمد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص141 وما بعدها؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص22 وما بعدها؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ج1، ص125.

(5) وسميت بشبه الجزيرة لإحاطتها بمياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسي من الشرق والغرب والجنوب.عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص. ص33-34.

(6) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، د- ت ، ص246.

الدول، وتفرق شملها، وسوء أحوالها ، فتطلعت للاستيلاء على أرضيها بقيادة ملكها سانشو الكبير[1]، الذي بسط نفوذه على اسبانيا النصرانية، واستطاع توحيدها تحت سيادته.

ورغم انهيار وحدة القوى النصرانية بعد وفاة سانشو الكبير427هـ/1035م[2]، إثر تقسيم المملكة بين أبنائه الأربعة، إلا أنه سرعان ما عادت هذه الوحدة بفضل فرديناند الأول [3] الذي ورث من ملك أبيه مملكة قشتالة[4]، ومضى يوسع حدود مملكته على حساب إخوته، واستطاع بعد انتصاره في معركة تمارون سنة 429هـ-1037م، أن يضم ليون[5] إلى أملاكه، كما استولى على كل جليقية[6] وأشتوريش[7]وما إليها، وغدا بذلك أقوى ملك في اسبانيا، فأخذ على عاتقه حرب المسلمين وخطى خطوة كبيرة في ذلك، بحيث توسعت في عهده حركة الاسترداد وأصبحت أكثر من ذي قبل وقد خاض معارك ظافرة مع جيرانه المسلمين، وانتزع عدة قلاع وحصون من ملك سرقسطة، واستولى على العديد من المدن

---

[1] سانشو الكبير عرف أيضا باسم شانجة، يعتبر باعث حروب الاسترداد في الأندلس وهو من وحد القوى النصرانية تحت سلطته، فملك نافار و قشتالة وليون وأراغونة. يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996، ج1، ص211

[2] يوسف أشباخ : المرجع السابق،ج1، ص11.

[3] فرديناند الأول معروف في المصادر العربية باسم فردلند، وهو الابن الأكبر لسانشو الكبير، تلقب بلقب الإمبراطور تأكيدا لسيادته على اسبانيا المسيحية، اشتدت في عهده حروب الاسترداد، وأصبحت أكثر قوة ، خلف بعد وفاته سنة(458هـ/1065م)، إمبراطورية كبيرة تقاسمها أبناؤه. شريفة محمد عمر دحماني: العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف القرن 5هـ- 11م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006، ص237.

[4] قشتالة عمل من الأعمال الأندلسية، جميعه بيد الإفرنج، يشمل الأراضي الواقعة شمال الجبل المسمى بالشارات. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1979، ج2، ص 352.

[5] من أجل مدن وأعظمها، تقع شمال سمورة بانحراف إلى الشرق، تبعد عن ساحل بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) أربع مراحل. أبو الفداء: تقويم البلدان، تحقيق: رينود والبارون ماك كوكين دسيلان، دار صادر، بيروت، 1840. ص185.

[6] جليقية بلدة من بلاد الروم متاخمة للأندلس، وصل إليها موسى بن نصير لما فتح الأندلس، ممتدة من نهر دويروه جنوبا حتى الساحل الشمالي لشبه الجزيرة الايبيرية، ومن الساحل الغربي لها حتى قشتالة. الحموي:المصدر السابق، ج2، ص157.

[7] أشتوريش هي المنطقة الواقعة في أقصى مناطق الشمال الغربي لشبه الجزيرة الإيبيرية، وهي القسم الثاني من أقسام جليقية الأربعة، تحصن بها النصارى بعد فتح الأندلس من قبل المسلمين. يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج1، ص10.

التابعة لملك بطليوس المظفر، وحاصر طليطلة فاضطر صاحبها لدفع الجزية وتبعه في ذلك باقي أمراء الطوائف حتى صاحب اشبيلية الذي يعد أقوى حكام الأندلس كان يدفع الجزية للنصارى لكي يأمن شرهم، ويتخلص من تهديدهم.[1]

أما إخوة فرديناند الثلاثة، فكانوا يحكمون مماليك صغيرة لا تكاد تعادل ثلث مملكته بينما في شرق الجزيرة كان هناك إمارة برشلونة[2] التي يحكمها ريموند برنجار الأول، وبلغت الممالك النصرانية في ذلك الوقت خمسا [3]، في مقابل ذلك بلغت كان عدد إمارات المسلمين المسلمين حوالي ثلاث وعشرون[4] وهذا دليل على قوة المماليك النصرانية التي اجتمعت معظمها تحت سلطة ملك قشتالة وليون فرديناند الأول، وضعفت دويلات الطوائف التي تفرقت كلمتها وتشتت جمعها، وأضحت أيامها في الأندلس معدودة.

ولم تتنفس دويلات الطوائف الصعداء إلا بعد وفاة فرديناند سنة 458هـ/1065. [5] وانقسام أمراء النصارى على أنفسهم، بحيث تفرق شمل أبناء فرديناند[6] وانشغلوا بخلافاتهم وتخلوا بصفة مؤقتة عن حرب المسلمين، الذين كانوا بدورهم منشغلين بعداء بعضهم البعض كسابق عهدهم واستمر انقسام النصارى مدة من الزمن، إلى أن عادت وحدتهم بزعامة ألفونسو السادس الذي سلك مسلك أبائه في التمكين لحركة الاسترداد. [7]

---

[1] رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1995، ج3، ص.ص79-80.

[2] برشلونة مدينة من القسم الثالث من الأندلس، على ساحل البحر، كان يحكمها ريموند برنجار(1035م/1076م). البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي، ط1، دار الرشاد، بيروت، 1968، ص71.

[3] يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج1، ص12.

[4] جاك ريسلر: الحضارة العربية، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط1، منشورات عويدات ، بيروت، 1993 ، ص232.

[5] ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص239؛ عبد الرحمان علي الحجي :التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92هـ-هـ897) (711م-م1492)، ط1، دار القلم، دمشق، بيروت،1981، ص328.

[6] قسم فرديناند قبل وفاته بعام مملكته الكبيرة بين أولاده الثلاثة، فأعطى شانجة مملكة قشتالة،و ألفونسو مملكة ليون وأشتوريش، وغارسيا أعطاه مملكة جليقية. شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، د-ت، مج3، منشورات دار الحياة، بيروت، ج3، د.ت، ص59.

[7] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص252.

وقبل أن يمضي في حروب ملوك الطوائف، بذل جهودا شاقة في محاولة جمع ملك أبيه، فاستولى على ليون وجليقية بعد وفاة أخيه شانجة، وبسط سلطانه على الأقاليم الواقعة في وسط البلاد وغربها إلى الشمال من نهر تاجة واستطاع أن يجمع كلمة أراغون[1] ونافارا[2] وأن يقوم بتوطيد علاقته بالكنيسة الرومانية، وعموم القوى المسيحية في أوربا فاتخذت بذلك حركة الاسترداد شكل الحروب الصليبية ترعاها كنيسة روما وتباركها وتدعو لها، وتجند المسيحيين من أجل المشاركة فيها.[3]

وبعد أن قوي نفوذ ألفونسو بين الممالك المسيحية، عاد لخوض حروب الاسترداد ويمهد لها السبل لتحقيق أهدافها المتمثلة في القضاء على تواجد المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية[4] واشتدت هجماته على المدن الأندلسية، وكان يفرض عليها المغارم الباهظة فإذا عجزت أو امتنعت على دفع الجزية هاجمها، وحاصرها حتى يشتد عليها البلاء، فتذعن للأمر الواقع، وتستسلم له بلا قيد أو شرط[5]، ولم يكتف ألفونسو السادس بتهديد وإذلال المدن القريبة إلى مملكته كسرقسطة وطليطلة وبطليوس، بل هدد جميع مدن الأندلس سواء الواقعة في الشرق أو في الغرب، وحتى في الجنوب كغرناطة واشبيلية، هذه الأخيرة انتزع من أميرها المعتمد بن عماد الإتاوة رغم كونه أقوى ملوك الطوائف.[6]

---

(1) أراغون مملكة إسبانية في شمال الأندلس، تقع على نهر إبرة. محمود شيث خطاب: قادة فتح الأندلس، ط1، مج1، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، منار للنشر والتوزيع، دمشق، 2003، ص83.

(2) نافارا تسميها المصادر العربية نبرة، مملكة نصرانية في شمال الأندلس، مجاورة للملكة أراغون. البكري: المصدر السابق، ص144، محمود شيث خطاب:المرجع السابق، ص83.

(3) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص.ص252-253.

(4) كمال أبو مصطفى : محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته (المغرب والأندلس)، مركز الإسكندرية للكتاب، للكتاب، مصر ،2007، ص263 .

(5) عصام الدين الفقي : المرجع السابق،ص255.

(6) مونتغمري وات : في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1998، ص104.

المبحث الثالث: جذور الصراع المرابطي النصراني قبل ولاية علي بن يوسف

1- الأوضاع السياسية للإمارات الإسلامية في الأندلس

مع مطلع القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي)، بدأ الضعف يدب في أركان الخلافة الأموية[1] بالأندلس، حين أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور[2] إلغاء الخلافة نهائيا في 12 ذي الحجة 422هـ/ 30 نوفمبر 1031م، وانقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة جاوزت العشرين[3]، عرفت في التاريخ باسم ملوك الطوائف تفاوتت فيما بينها صغرا وكبرا وقوة وضعفا وقد عاشت هذه الدويلات متناحرة فيما بينها فكل واحد منهم لا ينفك طامعا في أرض جاره فيستولي عليها إن حربا أو صلحا، وهذا ما زاد في أطماع المسيحيين للاستيلاء على أراضي المسلمين، فكانوا لا يكفون عن التدخل في شؤون دويلات الطوائف، وكانوا يفرضون على أكثرهم الجزية ويعملون على الاستيلاء على ما يستطيعون أخذه من أراضيهم وهذا مما يصعب على الدارسين لعصر الطوائف رسم حدود ثابتة لتلك الدويلات التي لا تستقر على حال وسنكتفي بالإشارة إلى أهم دويلات الطوائف وملوكها.

كان الموالي العامريون من بني جهور يحكمون قرطبة، حيث أقام أبو الحزم بن جهور بينهم بالعدل، وبعد وفاته خلفه ابنه الوليد، وكانت دويلات الطوائف المجاورة لها تتربص بها للاستيلاء عليها، وكانت المنافسة على أشدها بين ابن عباد صاحب اشبيلية وبين ابن ذي النون، صاحب طليطلة، إلى أن سقطت قرطبة في يد ابن عباد، بعد أن حكمها بنو جهور

---

[1] أسسها بالأندلس عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي، الملقب بالداخل سنة 318هـ ، بعد أن هرب من اضطهاد العباسيين بالمشرق. راغب السرجاني: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2005، ج1، ص375.

[2] جهور بن محمد بن جهور، يكنى أبا الحزم، ولد سنة 364هـ، تولى قرطبة سنة 422هـ، وأحسن تدبيرها عرف بالدهاء والعقل، وكان كثير البر والإحسان، عاشت قرطبة في أيامه بأمن ورخاء إلى أن توفي سنة 435هـ. ابن بشكوال: الصلة، تحقيق: ابراهيم الأبياري،ط1، مج11، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989،ج1 ص215؛ الخشني: قضاة قرطبة، تحقيق: ابراهيم الأبياري،ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ص164.

[3] محمود علي مكي: تاريخ الأندلس السياسي، دراسة شاملة: ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: مجموعة من الباحثين، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، ط2، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999،ج1، ص99.

مدة نصف قرن[1]، وهكذا ازداد نفوذ إمارة اشبيلية، وأصبحت أكبر دول الطوائف، حيث امتد ملكهم من الوادي الكبير شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا والجزيرة الخضراء جنوبا، وظلت إمارتهم على هذه الحالة حتى سقطت في أيدي المرابطين.وكان أمراء بني هود بسرقسطة بالثغر الأعلى، وكانت إمارتهم في حرب دائمة مع ابن ذي النون صاحب طليطلة، أما البربر فقد أسسوا إمارة في غرناطة و مالقة، فقد حكمها بنو زيري من صنهاجة، وكان أخر حكامهم عبد الله بن بلكين. أما بنو الأفطس فقد تربعوا على بطليوس و شنتمرية[2]، أما الشرق الأندلسي فقد خضعت كل من ألمرية و مرسية و بلنسية ودانية للموالي العامريين أيضا، وهذا التفكك الذي عرفته الأندلس، وجعلها فريسة سهلة للممالك النصرانية في الشمال، كما وجد فيها هؤلاء الأمراء فرصة للاستبداد والطغيان على العامة، وإثقال كواهلهم بالضرائب، وهو ما خلق حالة تذمر كبير، وانفصال بين الحكام والعامة[3]

2- تفاقم الخطر النصراني واستنجاد مسلمي الأندلس بالمرابطين

بعد وصول ألفونسو السادس إلى قمة عرش إسبانيا[4]،ازدادت حرب الاسترداد قوة حيث كان يطمح هذا الملك لاستعادة شبه الجزيرة الايبيرية كاملة، فبدأ أعماله الحربية على مدينة طليطلة، وحاصرها مدة سبع سنوات،حتى سقطت في أيدي النصارى في مستهل

---

[1] ابن بسام الشنتريني:الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط1،الدار العربية للكتاب،تونس،1979،ج2 ،ص.ص268-273.

[2] مدينة كثيرة العيون والحصون، ودار صناعة الأساطيل والأعناب والتين. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1957م، ص114 ؛ خميسي بولعراس: الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (440هـ- 479م / 1009م – 1086م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007، ص37.

[3] محمد الأمين بلغيث: دولة المرابطين بالأندلس، من مدينة السياسة إلى مدينة العلم، دار الوعي، الجزائر، 2009، ص.ص28-29.

[4] ألفونسو السادس تسميه المصادر العربية الأذفنش بن فرديناند الأول، ولد سنة 1030م، وكان رجلا طموحا قضى على ملك إخوته وأعلن نفسه إمبراطورا على ليون، و قشتالة، جليقية، ونافارا، استمر في حرب المسلمين إلى غاية وفاته سنة 1109م الزركلي:الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط7، مج4، دار العلم للملايين، بيروت، 1986، ج4، ص181.

صفر487هـ/1085م[1]، وكان لسقوط طليطلة دوي هائل في كامل الغرب الإسلامي، وغادرها أهلها إلى بطليوس خوفا من بطش النصارى، أمام هذي الحالة السيئة للأندلس اجتمع مشايخ قرطبة وزعمائها للتشاور فيما يجب عمله للإنقاذ مدينتهم وسائر بلاد الأندلس.وبعد التشاور فوضوا قاضي المدينة عبد الله بن أدهم بالقيام باستدعاء أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لنجدتهم وتخليص الأندلس من خطر النصارى.[2]

لقد كان مؤتمر قرطبة أول اجتماع شعبي في كيفية الخروج من محنة الأندلس بزعامة الفقهاء، وقد حرك هذا المؤتمر النخوة الإسلامية في نفوس بعض الأمراء كالمتوكل بن الأفطس أمير بطليوس، والمعتمد بن عباد أمير اشبيلية وأقوى أمراء الطوائف[3]، الذي تشاور مع أهل بلدته وخاصة ابنه الرشيد، الذي يرى أن المرابطين أشد خطرا من النصارى، لكن المعتمد استطاع إقناعه بضرورة الاستنجاد بالمرابطين، وشاع ذلك في كامل الأندلس، وقد لقي ذلك معارضة من بعض ملوكها، وحذروه من عاقبة الاعتماد على المرابطين بالقول: " الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد[4]" فأجابهم المعتمد: " رعي الجمال خير من رعي الخنازير".

وبعد أن قرر المعتمد بن عباد الاستنجاد بالمرابطين، تبعه ذلك أقوى أمراء الطوائف وهكذا تشكلت سفارة ضمت قضاة دويلات الطوائف يتقدمهم قاضي قرطبة ابن أدهم، وكان أعقل أهل زمانه، كما ضمت أبا بكر بن زيدون وزير المعتمد بن عباد لإبرام العقود، كما طلب المعتمد من وزيره وأعضاء السفارة ترغيب المرابطين بالجهاد في الأندلس وصد عدوان

---

(1) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس(لابن الكردبوس ووصفه لابن شباط)، تحقيق:أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،ج3، د.ت، ص. ص85، 118.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق،ج10، ص152.

(3) ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص28.

(4) ابن الآبار القضاعي: الحلل السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة المصرية للطباعة،القاهرة، 1963م،ج1، ص351.

النصارى.واتجهت إلى مراكش حاضرة المرابطين، حاملة معها رسالة مكتوبة من المعتمد إلى الأمير يوسف وكان ذلك في بداية سنة 479هـ.[1]

لما وصل الوفد إلى مراكش استقبلهم يوسف بن تاشفين، أين عرضوا عليه قضيتهم لكن أمير المرابطين لم يفصل فيها إلا بعد أن عرضها على مجلس الشورى المتكون من الفقهاء والأعيان والقادة[2]، حيث أشار عليه كاتبه عبد الرحمان بن أبسط الأندلسي أن يطلب من أمير اشبيلية، المعتمد بن عباد تسليمه الجزيرة الخضراء، حتى يملك موقعا آمنا، ويبقى اتصال بالمغرب، وأيضا بسبب وعورة أراضي الأندلس وأن معظمها بأيدي النصارى، فوافق المعتمد على ذلك.[3]

3- موقعــة الزلاقـــــة

كان عبور يوسف بن تاشفين أول مرة إلى الأندلس في أواخر 479هـ/1086م، ونزل جزيرة في الجزيرة الخضراء، واستقبله أهلها بترحاب كبير، وخرجوا إليه بما عندهم من الطعام والضيافات، وأقبل الناس متطوعين للجهاد من كل أنحاء الأندلس.ثم شرع الأمير يوسف في تحصين الجزيرة، وترميم أسوارها وأبراجها وشحنها بالسلاح والطعام وأوكل حمايتها إلى رجاله[4]، ثم توجه نحو اشبيلية[5] فكان أول من تلقاه من أمراء الطوائف أمير اشبيلية المعتمد بن عباد، الذي بالغ في إكرامه، ودعاه لأخذ قسط من الراحة بمدينته، لكن يوسف بن تاشفين اعتذر قائلا: " إنما جئت ناويا جهاد العدو وحيث ما كان العدو توجهت إليه"[6]، ثم التحقت به قوات المتوكل بن الأفطس وبعض قوات محمد بن صمادح صاحب ألمرية، وعبد الله بن

---

[1] مجهول : الحلل الموشية، ص28.

[2] سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص 70.

[3] عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج2، ص 721.

[4] بطرس البستاني: معارك العرب في الأندلس، دار مارون عبود، د.م، 1987، ص25.

[5] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: علي بوملحم، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت،2004، ج23، ص267.

[6] حسن احمد محمود: المرجع السابق، ص243.

بلقين صاحب غرناطة وأخوه تميم أمير مالقة وغيرهم، وهو ما جعل يوسف بن تاشفين يعمل على تقسيم قواته على معسكر الأندلسيين ومعسكر المرابطين.[1]

وهكذا عاد الأمل للأندلسيين، وبدا لهم أن المعجزة التي انتظروها طويلا قد تحققت فتوحدت كلمتهم، واجتمع شملهم بعد تفرق، وظهر يوسف بن تاشفين كأنه قد وصل ما انقطع من تاريخ الأندلس المجيد منذ وفاة المنصور بن أبي عامر، حين كان المجتمع الأندلسي تحت سلطة واحدة يتوافد إليه المجاهدون والمتطوعون من كل أنحاء الأندلس، في الوقت الذي عجز فيه الأندلسيون عن توحيد أنفسهم.[2]

وصلت أنباء هذه الأحداث إلى ألفونسو السادس وهو محاصر سرقسطة، فأدرك أن ثمة تغيرا وقع على الجبهة الإسلامية، فارتاع لذلك واضطر لرفع الحصار عن سرقسطة وسارع لحشد قوته، كما طلب مساعدة الأمم المسيحية، فأتته الوفود من مختلف المناطق متطوعة للقتال معه[3]. التقى الجيشان المرابطي والمسيحي شمال بطليوس في فحص الزلاقة، أين دارت معارك طاحنة تعد من أعظم معارك المسلمين في الأندلس حيث انهزمت قوات المعتمد بن عباد الذي أبلى بلاءا حسنا في البداية ، ثم تقدم الجيش المرابطي و قصد محلة ألفونسو فاقتحمها وأشعل النيران واشتدت المعركة بين الطرفين إلى أن انتهت بانتصار المسلمين.[4]

4- موقعة حصن ليط

ما إن وصل يوسف بن تاشفين إلى مراكش عائدا من الأندلس، حتى عاد أمراء الطوائف إلى سابق عهدهم، متناحرين ناقضين للعهود التي قطعوها له، مما أتاح الفرصة لألفونسو لإعادة تنظيم صفوفه من جديد فبدأ بغزو المدن الشرقية خاصة مرسية ولورقة اللتين كانتا ممزقتين سياسيا.[5]

---

[1] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص243.

[2] نفسه ، ص. ص 234-235

[3] يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج1، ص84

[4] مجهول: الحلل الموشية، ص60.

[5] عباس نصر الله: المرجع السابق، ص104.

كما استغل ألفونسو الفرصة فاستولى على حصن ليط[1] المنيع في سنة 481هـ/1088م والذي كان وسط هذه المعركة واتخذه قاعدة لشن الهجمات.وأمام هذا الخطر الداهم ارتفعت الأصوات من جديد للاستنجاد بأمير المرابطين. وأخذت الوفود تصل إلى مراكش تباعا بقيادة الفقهاء طالبة يد المساعدة، كما توجه المعتمد بن عباد إلى مراكش بنفسه ليشرح للأمير يوسف بن تاشفين خطورة الوضع. وهكذا عبر الأمير يوسف إلى الأندلس مرة ثانية وكان ذلك في سنة 481هـ/1088م. وكتب إلى أمراء الطوائف يستنهض الهمم[2]، وبعد أن لحقت به قوات المعتمد بن عباد لبى ندائه باقي أمراء الطوائف الأندلسية، واتجهوا مباشرة نحو الحصن وشرع الجميع في مهاجمة الحصن من كل جهة إلا أن الحصن كان منيعا واستعصى على السقوط، ويئس الأمير يوسف من إسقاطه خاصة بعد خيانة أهل مرسية له، وتفرق أمراء الطوائف فقرر الأمير يوسف العودة إلى المغرب.

5- ضم الأندلس وإنهاء حكم ملوك الطوائف

كانت فترة محاصرة حصن ليط كافية للأمير يوسف بن تاشفين ليكتشف بنفسه حقيقة أمراء الطوائف وما هم عليه من خلاف وتفرق خاصة بعد الدور التحريضي الذي قام به الفقهاء في الأندلس ضد أمرائهم، حيث استطاعوا لفت نظره إلى ما هم عليه من فساد وظلم للرعية، وما فرضوه عليهم من ضرائب منافية لشرع[3] بل أنهم اتهموهم بالخيانة وذلك لتعاونهم مع أعداء المسلمين واستمرارهم في تقديم الجزية لألفونسو حتى بعد انتصار الزلاقة وهو ما اعتبروه منافيا للشريعة الإسلامية .

ويبدو أن الأمير قد أدرك خطورة استمرار هؤلاء الأمراء في السلطة على مستقبل الوجود الإسلامي في الأندلس، خاصة بعد حملة التشويه التي دشنها العلماء ضدهم، فبعث يستفتي

---

(1) حصن ليط هو حصن على رأس جبل شاهق بينه وبين لورقة نصف يوم، يملكه العدو، وكانت سراياه تعبر شرقا وغربا وكان في موسطه بلاد المسلمين، مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص67.

(2) بن بية محمد محمود عبد الله : الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، ط1، دار ابن حزم، بيروت،2000، ص150.

(3) ابن خلدون : المصدر السابق، ج6 ، ص187.

كبار العلماء بالمغرب والأندلس في شأن هؤلاء الأمراء، ومدى شرعية إزاحتهم عن السلطة فأفتى الجميع بجواز خلعهم وإزاحتهم[1]، بل أفتى بعضهم بوجوب خلعهم، كما استفتى الأمير يوسف بعض علماء المشرق كأبي حامد الغزالي الذي جاءت فتواه موافقة لفتاوى علماء المغرب.[2]

بعد أن اطمأن الأمير يوسف إلى سلامة قراره في إزاحة أمراء الأندلس، جاز جوازه الثالث إلى الأندلس في سنة 483هـ/11090م واتجه نحو مدينة طليطلة مباشرة، فضرب عليها حصارا وكان بها ألفونسو السادس، لكن يوسف بن تاشفين تراجع أمام أسوارها المنيعة، حيث رفض أمراء الطوائف مساعدته على فتحها، وبذلك حصل على مبرر آخر لخلعهم[3] فعاد إلى الجنوب حيث بدأ بإمارة غرناطة، حيث ضرب حصارا على كامل أراضيها، لمنع تسلل النصارى إليها، واستمر الحصار طيلة شهرين، واضطربت أحوال داخل غرناطة، فيأس أميرها عبد الله بن بلقين فاضطر لفتح أبواب المدينة للمرابطين في22 رجب 484هـ-1090م/ الموافق لـ 13 سبتمبر 1091م.[4]

ثم اتجه جيش المرابطين إلى مالقة فقام أميرها تميم بن بلقين بتسليمها دون قتال، توجس أمراء الطوائف خيفة من أعمال المرابطين، وعمل المعتمد بن عباد بكل الوسائل للحيلولة دون سقوط مملكته في أيدي المرابطين، فما كان من جيش المرابطين إلى أن اقتحم مدينة اشبيلية بالقوة في سنة 484هـ/1091م، وألقى القبض على المعتمد بن عباد الذي نفي إلى أغمات جنوب المغرب وقضى بها بقية حياته حتى وافته المنية سنة 488هـ/1095م[5] واصل المرابطون خطتهم لتوحيد الأندلس، فسقطت في أيديهم ألمرية في نفس السنة، وتوفي

---

(1) عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996، ص125.

(2) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1992، ص7.

(3) حسن احمد محمود: المرجع السابق، ص263.

(4) ابن بلكين: مذكرات الأمير عبد الله- المسماة كتاب التبيان-، تحقيق: ليفي برونفسال، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص169؛ ابن الآبار: أعتاب الكتاب، تحقيق: صالح الأشتر، ط1، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961، ص223.

(5) ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2، ص119.

بها أميرها المعتصم بن صمادح، ثم توجه المرابطون إلى بطليوس وتمكنوا من فتحها في صفر 487هـ/1094م بعد مساعدة العلماء والعامة.[1]

لقد كانت خيانة أمراء الطوائف لشعوبهم واستعانتهم بالنصارى على إخوانهم المسلمين مبررات كافية للتخلص منهم، فتوالى سقوط الإمارات الواحدة تلوا الأخرى، وما كادت تدخل سنة 490هـ/1096م حتى كانت الأندلس الإسلامية خاضعة لسلطة المرابطين، ما عدا إمارة سرقسطة، حيث هادن يوسف بن تاشفين أميرها المستعين أحمد بن هود وذلك لوقوعها في شمال الأندلس فأرادها أن تكون بمثابة الخط الدفاعي الأول ضد أي خطر نصراني.[2]

بعد أن تمكن المرابطون من القضاء على السيد القمبيطور والاستيلاء على بلنسية و أحوازها سنة 495هـ/م1102، أصبحت بلاد الأندلس بأسرها تحت لواء واحد وهو لواء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، هذا الأخير أدرك تمام الإدراك أن هذه البلاد أن البلاد الواسعة الأرجاء بحاجة إلى من يدير شؤونها أحسن الإدارة، لأنها ما زالت في حالة غير مستقرة، حيث لم تندمل بعد مخلفات القضاء على أمراء الطوائف، وكذلك لتربص العدو النصراني بها، ولأجل ذلك قرر الأمير يوسف العبور إلى الأندلس للمرة الرابعة والأخيرة سنة 496هـ/1103م، كما أنه أراد بعبوره هذا أن يضع أسسا ثابتة لدولته الجديدة التي ألفت بين المغرب والأندلس.

بعد أن وقف الأمير يوسف بن تاشفين على حسن سير الإدارة في الولايات، قصد قرطبة لينجز المهمة التي قدم في الواقع من أجلها إلى الأندلس، وهي أخذ البيعة لولده أبي الحسن علي[3] و كانت وفاة يوسف بن تاشفين سنة 500هـ/ 1106م[4]

---

[1] ابن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص187.

[2] حسين مؤنس: المرجع السابق، ص16.

[3] خالد حمون: دور الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في إيقاف الزحف الصليبي بالأندلس(479هـ-500هـ/1086م-1106م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر،2011، ص124.

[4] ابن الأثير : المصدر السابق، ج10، ص416 .

الفصـــــــــل الثاني:

صـــــراع المرابطين مع مملكة قشتالة في عهد علي بن يوسف

المبحث الأول : موقعـــــة أقليـــــــــش 501هـ/ 1107م

المبحث الثاني: حصـار المرابطين لطليطلـة واسترجـاع المـدن المجاورة لهـــا

المبحث الثالث: حملة الأمير مزدلي على طليطلة ووادي الحجارة 508هـ/1114م

المبحث الرابع:استمرار الصراع المرابطي القشتالي حتى وفاة علي بن يوسف 537هـ

إن الصراع المرابطي النصراني في الأندلس قد بلغ ذروته في عهد علي بن يوسف، وتحول إلى حروب ضارية، اقتضت من المرابطين حشد جميع قواتهم لإيقاف المد النصراني وحماية بلاد المسلمين في الأندلس، وكانت أولى فصول الصراع مع مملكة قشتالة.

المبحث الأول : موقعة أقليش 501هـ- 1107م

بعد وفاة يوسف بن تاشفين تولى القيادة ابنه علي[1] في ذات اليوم لأنه اختاره مسبقا[2] مؤثرا إياه على ولده الأكبر أبو طاهر تميم، إن اختيار يوسف لعلي ابنه كان سنة 496هـ/1103م حيث عقدة البيعة له.[3]

وحين وفاة يوسف عقدت البيعة لابنه علي في نفس اليوم[4] قبل أن يوارى جثمان الفقيد في التراب وكان أول من بايعه أشياخ من قبائل لمتونة وباقي قبائل صنهاجة والأكابر والقادة[5]

---

[1] هو علي بن يوسف تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت بن ورقاطن بن منصور بن مصالة بن أمية بن وارتملي بن تميت الصنهاجي اللمتوني ويكنى بأبي الحسن كان ميلاده في 4 ربيع الأول 476هـ/ 1083م أما ابن أبي زرع فيجعل ميلاده في غرة محرم 477هـ-1084م أما عن مكان ميلاده فيقول ابن عذارى أنه سبتة غير أن ابن غازي صاحب الروض الهتون فيقول أن علي بن يوسف ينسب إلى لقرية اسمها تلاجدوت والتي قد تكون مكان ولادته أمه فهي رومية تدعى قمر وكذلك فاض الحسن ام أولاده فهم تاشفين المتولي الحكم بعده وأبو بكر(يدعى بيكور) وأبو حفص عمر الكبير وإبراهيم وإسحاق وتميم و داوود وعمر الصغير كاتبه يدعى أبو محمد بن اسباط أما وزراؤه فهم نيتان بن عمر وفي أخر حياته استوزر بن نيتان أما وفاته – رحمه الله – فكانت سنة 537هـ/1142م. ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص157 ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 20، ص 124؛ عبد العزيز شاكي: التطور السياسي لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2011، ص. ص 45- 46.

[2] أبو محمد عبد الله اليافعي : مرآة الجنان وعرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص125؛ É.LÉVI- PROVENÇAL: islam d'occident, librairie orientale amiricaine ,paris,1948,,p244 ; É.LÉVI- PROVENÇAL, ET LES AUTRES: ENCYCLOPÉDIE DEL'ISLAM,PARIS,1960,TOM.1,ARTICLE:ALI BEN YUCUF,P:400.

[3] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص157؛ مجهول : الحلل الموشية ،ص78.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص157؛ القلقشندي: المصدر السابق،258؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس – ، ط2، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1990، ص57؛ محمد فريد وجدي: دائرة المعارف القرن العشرين، بيروت ، د.ت، مج4، مادة مرابطون، ص.ص180-181.

[5] القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص285.

ثم بايعه أخوه تميم معلنا بذلك طاعته لأخيه احتراما لإرادة والده في ذلك[1] وبعدها كتب علي بن يوسف إلى سائر بلاد الصحراء والمغرب والأندلس يبلغهم بوفاة أبيه واستخلافه إليه من بعده ويأمرهم بأخذ البيعة له.[2]

بعد مبايعته بالإمارة أجرى تغيرات هامة في دواليب الحكم ؛ فقد عزل أخاه أبو طاهر تميم عن ولاية المغرب[3]وعينه لولاية غرناطة بالأندلس وجعله قائما على الجيوش المرابطية في الأندلس، وعين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر اللمتوني على قرطبة أما ولاية المغرب فقد انتدب لها أبو عبد الله محمد بن الحاج فلبث واليا على فاس وسائر بلاد المغرب.[4]

ويبدو من هذه التعيينات أن علي بن يوسف كان سيتفرغ للجهاد استكمالا لمسيرة والده يوسف حيث أنه ما إن فرغ من تسلم مقاليد الحكم في البلاد حتى شرع في استكمال الجهود الحربية في الأندلس.[5]

كانت أحوال الممالك المسيحية في إسبانيا قد تغيرت كثيرا خلال السنوات الأخيرة من القرن الخامس الهجري (11م) ، كما أن قوتها كانت متفاوتة ، إذ أن مملكة قشتالة بدأت تضعف بعد وفاة ألفونسو السادس ،حيث خلفته ابنته دونيا أراكه (URRACA).[6]

ولما كانت سنة 501هـ/1107م جهز الأمير أبو طاهر تميم بن يوسف جيشا وخرج من غرناطة في العشرة الأخيرة من شهر رمضان 501هـ- (أوائل ماي 1108م)، وسار

---

[1] عبد الله عنان : المرجع السابق، ص. ص 57-58؛ ينقل لنا صاحب الحلل الموشية إعجاب يوسف بابنه علي موثرا عليه على بقية إخوته بقوله « كان يتوقد ذكاءا و نبلا وفهما فأعجب به (أي يوسف) إعجابا كثيرا وجعل له النظر في المظالم والشكايات فانتفع به الناس في جميع أمورهم وكافة شؤونهم وكان في طبعه ومولده مثل كاهن ، يأتي بعجائب الأخبار » مجهول: الحلل الموشية، ص84.

[2] ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص158 ؛ عنان: المرجع السابق، ص58.

[3] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص159 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص251.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص. ص 48-49؛ عنان: المرجع السابق، ص59.

[5] ابن خلدون : العبر، ج6، ص. ص 250-251 ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج4، ص48.

[6] عبد العزيز شاكي: معركة أقليش – صفحة مشرقة من تاريخ المسلمين في الأندلس –، دويرة كان التاريخية ، 2012م ، ، العدد16، ص87.

بقواته شمالا صوب جيان[1] وكانت الجنود والإمدادات تلحق به، ثم اتجه إلى بياسة شمال شرق جيان، واتجه منها شمالا صوب أراضي قشتالة وانضمت إليه في الطريق جيوش مرسية [2] بقيادة واليها أبي عبد الله بن عائشة[3] وحشود بلنسية[4] بقيادة واليها محمد بن فاطمة، وقد اخترقت القوات المرابطية أراضي قشتالة وعاثت فيها، ثم اتجهت صوب بلدة أقليش[5] الحصينة، فوصلت إليها في الرابع عشر من شوال 501هـ/1106م، وما كادت القوات المرابطية تصل أقليش حتى طوقتها وهاجمتها بعنف، ولم يستطع النصارى المدافعون عنها أن يثبتوا طويلا أمام شدة وقوة ضربات المرابطين فسقطت في أيديهم في اليوم الموالي.[6]

---

[1] جيان مدينة بالأندلس خصبة الأراضي رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، وفيها نحو ثلاثة آلاف قرية يربى فيها دود الحرير، بها جنان وبساتين، ومزارع و غلات، وهي تقع على سفح جبل عال جدا، بها عيون وحمامات وأرحاء طاحنة وأسواق، كما أنها مشهورة بالمحارث والأخشاب، الحميري: الروض المعطار، ص183؛ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1995،ج2، ص49.

[2] مرسية مدينة بالأندلس بناها عبد الرحمن بن الحكم وصارت مقر الولاة وقادة الجيش، وهي على نهر كبير بها جامع وأسواق وحمامات وصنوف من الخضر والفواكه مما يجعل الأسعار بها رخيصة، ويكثر بها معدن الفضة و بها تصنع السبط الرفيعة (الأفرشة الرفيعة) ، وأهلها بارعون في في هذه الصناعة عن غيرهم. الحميري: الروض المعطار، ص539.

[3] عبد الله عنان : المرجع السابق، ص61.

[4] بلنسية مدينة شهيرة بالأندلس تقع شرق قرطبة، وهي برية وبحرية ذات أشجار وأنهار ، تعرف باسم مدينة التراب، وتتصل بها عدة مدن بينها وبين البحر فرسخ واحد، استولى عليها الروم ثم ملكوها الملثمون ثم ملكها عبد المؤمن بن علي، وأهلها خير أهل الأندلس تطلق عليهم تسمية عرب الأندلس، ياقوت الحموي: المصدر السابق،ج1، ص490؛ ابن الدلائي: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الإخبار وتنويع الآثار، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت،ص17.

[5] أقليش بضم الهمزة وسكون القاف، وهي مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة، مشهورة بعلمائها أمثال أبو العباس أحمد بن بن القاسم المقري الأقليشي، وأبو العباس أحمد المعروف بن عيسى بن وكيل التحيي الأقليشي، الحموي: المصدر السابق،ج1،ص237 ؛ ويصفها الحميري بقوله: « حصن في ثغر الأندلس وهي قاعدة كور شنتبرية، وهي محدثة، بناها الفاتح بن موسى بن ذي النون، وفيها كانت ثورته وظهوره سنة 160هـ/ 777م، ثم اختار أقليش دارا وقرارا، فبناها ومدنها، وهي على نهر منبعث من عين عالية على رأس المدينة فيعم جميعها، ومنه ماء حمامها، ومن عجائب البلاط الأوسط من مسجد جامع أقليش، فإن طول كل جائرة من جوائره مائة شبر وإحدى عشر شبرا، وهي مربعة منحوتة مستوية الأطراف» الحميري: صفة جزيرة الأندلس، تحقيق: ليفي برونفسال، ط2، دار الجيل، بيروت،1988، ص28.

[6] عبد الله عنان: المرجع السابق، ص61.

كانت وقعة أقليش سنة 501هـ/1107م حسب رواية ابن عذارى وابن قطان[1]، ولكن ابن أبي زرع صاحب الروض القرطاس فيقول أن وقعة أقليش كانت سنة 502هـ/1108م، حيث يقول: « وفي سنة اثنتين وخمسمائة كانت وقعة أقليج (وردت بهذا الاسم والمقصود بها أقليش) على النصارى، وكان أمير جيش المسلمين تميم بن يوسف بن تاشفين، وكان واليا في غرناطة، فخرج منها غازيا إلى بلاد الروم، فنزل حصن أقليج و به جمع عظيم من الروم، فحاصرهم حتى دخل عليهم فتحصن النصارى في القصبة». [2]

أما ابن القطان صاحب نظم الجمان فيصف هذه المعركة « فيها (أي سنة501هـ/1007م) الجهاد في سبيل الله تعالى الذي كانت فيه وقعة أقليش في الأندلس وافتتاحها» [3] كانت هذه المعركة نصرا كبيرا للمسلمين، يقول عن ذلك ابن قطان: « وهي من غر الوقائع وجليلها »[4]، ثم يتكلم عن سببها فيقول:« وشرح شأنها أن ابن أبي رنغي[5] صاحب قرطبة في ذلك التاريخ وجماعة الرؤساء بالأندلس، خاطب بعضهم بعضا في النهوض إلى أقليش وكان البارهانش[6] للنصارى من جهة برتقال، وقتله لهم وعيثه في بلاد الشرك من تلك الجهة»[7] وقد اقتحم المسلمون حصن أقليش، ولجأ كل من كان من النصارى من هذه المدينة إلى القصبة العليا، ونزلت جميع العساكر عليها وأحاطوا بها، حيث

---

[1] ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص49؛ ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص63.

[2] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص، ص 159-160.

[3] ابن القطان : المصدر السابق، ص63.

[4] نفسه

[5] يورده صاحب مفاخر البربر باسم أبو عبد الله محمد المعروف بابن أبي زنغي، حيث ولاه علي بن يوسف على قرطبة بعد عزل الأمير عبد الله بن الحاج، ثم عين عاملا على غرناطة، مجهول : مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، 2005، ص190.

[6] هو القائد القشتالي المسيحي " ALVER FANEZ" ابن أخي السيد القمبيطور، وكان من كبار قواد ألفونسو السادس، ابن القطان: المصدر السابق، ص63.هامش(3)

[7] نفسه.

لم تتمكن القوات النصرانية من الصمود في وجه المرابطين[1]، في هذا الوقت تأهب ألفونسو السادس لإنقاذ أقليش من أيادي المسلمين فأشارت عليه زوجته أن يوجه ابنه شانجة(SANCHO)[2] لمواجهة جيوش المرابطين بقيادة تميم، فسمع منها وبعث سانشو على رأس جيش كبير[3]، توجه نحو إقليم أقليش « فأخبر تميم بقدومه فأراد أن يقطع عن الحصن ويلقاهم». [4]

قدر ابن عذاري قوات النصارى التي جاء بها سانشو(SANCHO) بسبعة آلاف فارس[5] إلا أن ابن القطان صاحب نظم الجمان قدر قوات النصارى عشرة آلاف فارس[6] وأشار عبد الله بن محمد بن فاطمة ومحمد بن عائشة وغيرهما من قواد لمتونة على الأمير تميم أن يقيم ولا يرحل، وشجعوه وهونوا عليه الأمر فأطاعهم في ذلك وبعدها أتتهم جيوش النصارى في ألوف كثيرة، فلما رآهم تميم أراد الهروب والإحجام عن مقاتلتهم، فلم يجد سبيلا للفرار وصمم قادة المرابطين الآخرين على مقاتلة العدو[7]« فوقعت بينهم حروب عظيمة لم يسمع بمثلها» [8]، فكانت الدائرة والهزيمة على النصارى[9]، وقد علق ابن أبي زرع على هذا النصر بقوله: « فالتقوا فكانت بينهم حروب عظيمة لم يسمع بمثلها، فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين، وقتل ولد ألفونسو السادس(سانشو) وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا...ودخل المسلمون أقليج بالسيف، واستشهد فيها جماعة من المسلمين رحمهم الله، واتصل الخبر بألفونسو، فاغتم لقتل ولده ودخول بلده وهلاك عسكره، فمرض...ومات

---

(1) عبد الله عنان : المرجع السابق، ص61.

(2) والمقصود به سانشو"SANCHO" وكان يبلغ في ذلك الوقت نحو إحدى عشر سنة، ابن القطان: المصدر السابق،ص63.

(3) ابن القطان: المصدر السابق، ص63؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص160.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص160.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص50.

(6) ابن القطان: المصدر السابق، ص64.

(7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص160.

(8) نفسه.

(9) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص50.

لعشرين يوما »[1] من الكائنة (وقعة أقليش)، وكتب تميم بالفتح إلى أمير المسلمين علي بن يوسف.[2]

أما ابن القطان فيورد في رواية مغايرة، حيث يذكر أن قوات النصارى هاجمت جيوش المسلمين في قرطبة، وهزموها، ثم هاجمت جيوش ابن عائشة وابن فاطمة صاحبي مرسية و بلنسية قوات النصارى ولحق بهم تميم بن يوسف، ودارت حرب عنيفة انهزم فيها النصارى ولكن لم يقتل سانشو حتى لحق به المسلمون إلى أحد الحصون وقتلوه[3]، وبعدها رجع المسلمون إلى أقليش وترصدوا لكل الهاربين فقبضوا عليهم وقتلوا ما قتلوا وأسروا الباقين.

وقتل في هذه المعركة الإمام الجزولي، وكان رجل صدق كما قتل جماعة من الأعيان والعربان[4]، ويذكر الدكتور حسين مؤنس نقلا عن الروايات النصرانية أن سبعة من أكبر فرسان النصارى هلكوا في المعركة الواقعة في الأندلس والمسماة واقعة أقليش، ولهذا يسمونها وقعة الأكنـاد[5] السبعـة[6] أو الكونتـات السبعة[7]، وبعدها رجع الأمير أبو طاهر تميم إلى إلى غرناطة[8]، وكتب إلى أخيه علي بن يوسف بتفاصيل انتصاره[9]، وترك لابن عائشة وابن فاطمة مهمة حصار أقليش حتى أسروا منها ما تبقى من النصارى.[10]

وعلى كل فإن انتصار المسلمين في وقعة أقليش أعاد الأذهان انتصارهم على النصارى في وقعة الزلاقة 479هـ/1086م أيام يوسف بن تاشفين وقد كان لهذه المعركة أثر واضح

---

(1) والحقيقة أنه توفي بعدها بنحو عام يوم 3جوان 503هـ/1109م، حسين مؤنس: المرجع السابق، ص20.

(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص160.

(3) ابن القطان: المصدر السابق، ص64 وما بعدها.

(4) نفس المصدر،ص66.

(5) بالإسبانية: BATALLA DE LOS SIETE CONDES.

(6) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص20.

(7) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص65.

(8) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص50 ؛ عبد الله عنان: المرجع السابق،ص66.

(9) حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الازاريطة، 1997، ص163.

(10) ابن القطان: المصدر السابق، ص66.

على تدعيم سلطان المرابطين في الأندلس[1]، وعززت من الثقة في نفوسهم مما جعلهم يعاودون الكرة حيث جاز علي بن يوسف مرة أخرى إلى الأندلس من أجل الجهاد[2]، كما أنها ساهمت في التقليص من حدة حرب الاسترداد، وذلك أن سانشو قد مات في الحرب ولحق به والده ألفونسو السادس بنحو عام من ذلك[3]، كما أن أهم الحصون والقلاع وبعض المدن مثل مدينتي قونكة ووبذة صارت بيد المسلمين مما جعل ذلك يعزز التواجد المرابطي الذي صار حاضرا بقوة في الأندلس.[4]

المبحث الثاني: حصار المرابطين لطليطلة واسترجاع بعض أحوازها

بعد انتصار المرابطين في وقعة أقليش 501هـ/1107م ضد القشتاليين، ومقتل سانشو و وفاة أبيه ألفونسو السادس[5]، جهز أمير المسلمين علي بن يوسف جيشا و عبر إلى الأندلس برسم الجهاد وكان ذلك سنة 503هـ/1109م[6]، فقد عبر من سبتة نحو قرطبة في في الخامس عشر من محرم لذات السنة الموافق لـ 14أوت 1109م وقد صاحب روض القرطاس تعداد هذا الجيش بمائة ألف فارس[7]، ولما وصل إلى قرطبة أقام بها شهرا يضع الخطط ويستكمل تعبئة قواته ثم غادرها إلى طلبيرة الواقعة غربي طليطلة، من أجل تضييق الحصار على هذه الأخيرة .

لكن صاحب روض القرطاس يقول بأن علي بن يوسف قبل أن يتوجه إلى طلبيرة[8]

---

(1) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص66 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص163.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص85. وقد كان ذلك سنة 503هـ/1109م.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص160.

(4) حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص164.

(5) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص160.

(6) مجهول: الحلل الموشية، ص85 ؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص69.

(7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161.

(8) تقع بالأندلس ووصفها الحميري بأنها تقع أقصى ثغور المسلمين، وأنها باب من الأبواب التي يدخل منها أرض المشركين، وهي مدينة قديمة على نهر تاجة، كما أنها مبنية على جبل عظيم تخرج من تحته عين قد وضع على مجراها عشرون رحى، وقلعتها من ارفع القلاع وأحصنها، ومدينتها أشرف البلاد حسنا وهي واسعة بها ديار حسنة وأسواق عديدة ومزارع وهي على بعد طليطلة بنحو سبعين ميلا ، الحميري: الروض المعطار، ص395.

ومحاصرتها، كان فتح من أحواز طليطلة[1] سبعة وعشرين حصنا وفتح كذلك مجريط[2] ووادي الحجارة[3]، ثم وصل بعد ذلك إلى طليطلة[4]، أما صاحب الحلل الموشية فيصف لنا لنا جواز أمير المسلمين علي بن يوسف للجهاد بقوله : « في سنة ثلاث و خمسمائة ، برسم الجهاد ، ونصر الملة، وإعزاز الكلمة، فقصد طليطلة، ونزل على بابها، وحاز المنية المشهورة بخارجها، وانتشرت جيوشه على تلك الأقطار ودوخ بلاد المشركين ». [5]

بعد حصار مدينة طلبيرة قضى المسلمون الليلة في محاصرة المدينة، وفي الصباح دارت معركة عنيفة بين جيوش المرابطين وجيوش القشتاليين، وقد دافع النصارى عن مدينتهم دفاعا مستميتا، وحاول المسلمون الوصول إلى الأسوار، غير أن مجرى وادي تاجة المحيط بأسوارها حال دون ذلك، حيث أنه شكل خندقا طبيعيا يحمي أسوار المدينة[6]، ولكن مع طول الحصار تعددت الاشتباكات واقتحم المسلمون المدينة عنوة[7] ووقع النهب والسبي فيها حيث « اعتصم الروم في قصبتها وأجارهم الليل فرموا بأنفسهم في النهر وتسربوا بين المحلات فأفلتوا وامتلأت أيدي المسلمين ... بالثياب والماشية والأسلحة، وطهر الجامع ورد على الهيئة المسلمة ورجع به حرامه وإقامة الصلوات ومحا الله منه الكفر»[8]، وبهذا

---

(1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص52.

(2) مدينة بالأندلس بناها محمد بن عبد الرحمان وهي آخر حيز للإسلام، وفي هذه المدينة تربة تصنع منها البرام التي توضع على النار عشرين سنة ولا تتكسر والتي تستعمل عادة للطهي، وحصن مجريط من الحصون الجليلة، إلا أنها مدينة صغيرة كان فيها زمن الإسلام مسجد جامع، وهي قرية قريبة من طليطلة، الحميري: الروض المعطار، ص523.

(3) وهي مدينة تعرف بالأندلس بمدينة الفرج تبعد بنحو خمسة وستين ميلا، وهي مدينة حسنة كبيرة الأرزاق و الغلات، ولها ولها أسوار حصينة، يقع بالقرب منها نهر صغير، عليه بساتين وجنات، تكثر بها غلة الزعفران التي تصدر إلى سائر البلاد، الحميري : المصدر السابق ، ص606، شكيب أرسلان: المرجع السابق، ج2، ص69.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص85.

(6) حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص165.

(7) مجهول: الحلل الموشية، ص85؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص68.

(8) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص50.

الانتصار الكاسح[1]عادت هذه المدينة إلى الحظيرة الإسلامية بعد أن قتل معظم سكانها النصارى، وتم تحرير كافة الأسرى المسلمين[2]، وبعد ذلك ندب أمير المسلمين علي بن يوسف واليا على المدينة وترك فيها قوة عسكرية من الراجلين والرماة وجعل عليهم قائدا من المرابطين.[3]

لقد أورد ابن القطان صاحب نظم الجمان نصا عن وقعة طلبيرة حيث يقول:« فمنها الجهاد وذلك في غزوة طلبيرة وفتحها ، وذلك بأن تحرك علي بن يوسف غازيا في حفل عظيم من الجند والملثمين وجماعة المتطوعين نحو طلبيرة ، فوصلوا إليها ضحوة يوم الخميس الثالث عشر من محرم من السنة المذكورة (503هـ/1109م)».[4]

يتضح أن ابن القطان وابن أبي زرع متفقان في السنة والشهر ولكنهما يختلفان في اليوم فالأول يقول بأن تاريخ المعركة هو 13 محرم أما الثاني فيقول أن يوم المعركة هو15 محرم[5] وعلى كل فالخلاف لا يبدو كبيرا، ويواصل ابن القطان في وصفه لمجريات المعركة، حيث يقول: « فقاتلوها ذلك اليوم واحترس[6] الناس المدينة ليلة الجمعة، ثم أصبحوا أصبحوا فقاتلوها أشد القتال، واجتهد الكفار في الدفاع و كان الوصول على سور المدينة يعسر بسبب الوادي المتصل بسورها إلى أن خرق المسلون السد، فسرب الماء عن السور، وتداعى الناس إلى القتال، وكان ابن حمدين[7] يحرض الناس على الجد والاجتهاد، و لما ثلم

---

(1) وصف صاحب الحلل الموشية هذا الانتصار بقوله:« ونزل على طلبيرة (علي بن يوسف) وافتتحها عنوة، ولم يعهد مثل هذه الغزوة، قوة وظهورا، وعدة و وفورا» مجهول: الحلل الموشية، ص.ص 85-86.

(2) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص68.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص50؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص165.

(4) ابن القطان: المصدر السابق، ص69؛ ابن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التآنس في ملمح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ص25.

(5) ابن القطان: المصدر السابق، ص69؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161.

(6) الأصل فيها احتوش أي أحاطوا بالمدينة، حسب محقق كتاب نظم الجمان لابن القطان.

(7) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي، قاضي الجماعة في قرطبة، كان محبوبا للملثمين، ومحبا لهم ونال من المكانة الرفيعة لديهم ما لم ينله غيره من سلفه، وكان جميل الطريقة ساعيا في الخير، قطع الضرائب

ثلم السد، وقل ماء النهر بإزاء الباب – وذلك يوم السبت – اقتحم المسلمون عليهم، ودخلوها عنوة، وقتلوا جميع من فيها من النصارى، واستنقذ من كان فيها من أسارى المسلمين ونجا بعض النصارى إلى قصبتها، وتحصنوا فيها إلى أن جن الليل، فتلثموا وخرجوا على خيولهم فارين على وجودهم، فتبعهم المسلمون».[1]

كما وصف ابن أبي زرع هذا الانتصار الكاسح للمسلمين على النصارى بقوله:« وقطع ثمارها، وبلغ فيها من النكاية كثيرا، ثم قفل منها إلى قرطبة بعد أن دوخها »[2] ، وبعد هذا رجع أمير المسلمين علي بن يوسف إلى مدينة طليطلة فعسكر حولها[3]، وقد كانت هذه المدينة محصنة تحصينا منيعا يصعب من مهمة كل من يهاجمها.[4]

تختلف الروايات حول مدة الحصار الذي ضربه علي بن يوسف على مدينة طليطلة ، فابن عذاري يذكر أن الحصار« دام ثلاثة أيام ... وساءت ظنون أهلها مع ما هي عليه طليطلة من الحصانة والمنعة ودامت عليها الحرب يوم الخميس والجمعة والسبت ».[5]

أما ابن أبي زرع صاحب روض القرطاس فيقول أن حصار طليطلة دام شهرا كاملا معلقا على ذلك بقوله :« ووصل إلى طليطلة فحاصرها شهرا »[6]، وينقل لنل الأستاذ عبد الله عنان الرواية النصرانية التي تقول أن الحصار المرابطي على مدينة طليطلة دام سبعة أيام، بذل فيها المرابطون جهودا كبيرة وضربوا أسوارها بالمجانيق ضربا شديدا، وحاولوا إحراق بعض أبراجها،ولكن جهودهم باءت بالفشل، واستطاع القشتاليون اعتمادا على حصانة مدينتهم، وأسوارها المنيعة أن يردوا كل محاولات المرابطين، وفي اليوم السابع خرج البارهانس

عن أهل قرطبة، وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة، وكان ذكي سريع الفهم رقيق الطبع، فقيها أديبا، بليغا شاعرا، كاتبا فاضلا، ورعا متدينا، توفي سنة 508هـ/1114م، ابن القطان: المصدر السابق، ص74.

[1] نفس المصدر، ص.ص69-70

[2] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161.

[3] ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص52؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص165.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص52.

[5] نفسه.

[6] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161.

في قواته، واشتبك مع المرابطين في معركة شديدة، واضطر المرابطون على إثرها إلى الحصار، ومغادرة المدينة، بعد أن أحرقوا آلات الحصار.[1]

على اختلاف هذه الروايات سواء الإسلامية أو النصرانية فيبدوا أنهم أجمعوا جميعهم على انتصار علي بن يوسف في هذه المعارك[2]، وفشله في فتح مدينة طليطلة التي كانت عصية عليه ، حيث عاد علي بن يوسف رفقة جيوشه إلى قرطبة بالأندلس[3]، ثم بعدها رجع إلى مراكش، غير أن الغزوات المرابطية استمرت على نشاطها وشدتها في أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية ترفع راية الجهاد النصارى القشتاليين.[4]

المبحث الثالث:حملة الأمير مزدلي على طليطلة ووادي الحجارة508هـ/1114م

واصل المرابطون توجيه حملاتهم سنويا ضد مملكة قشتالة، ومن هذه الحملات التي قادها الأمير أبي محمد مزدلي[5] في عام 508هـ/1114م لغزو طليطلة ووادي الحجارة، وكان علي بن يوسف قد أسند إلى مزدلي ولاية قرطبة وغرناطة والمرية خلفا لأخيه أبي الطاهر تميم الذي أسندت إليه ولاية مدينة تلمسان بالمغرب[6] ، فخرج مزدلي من مراكش إلى مقر ولايته بالأندلس فوصل إلى مدينة اشبيلية[7]، حيث أمده الأمير سير بن أبي بكر والي المدينة بعسكر ضخم من أجناد المرابطين والحشم وغيرهم، كما انضم عسكر آخر قادم

---

(1) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص69.

(2) وصف ابن خلدون جواز علي بن يوسف إلى الأندلس وانتصاره بقوله:« ثم جاز علي بن يوسف سنة ثلاث (503هـ/1109) ونازل طليطلة وأثخن في بلاد النصارى ورجع»، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 251.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161.

(4) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص68.

(5) هو الأمير مزدلي بن بونلكان بن حسن بن محمد بن ترجوت، كان واليا على قرطبة وهو ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وله جهود كبيرة في الدور الأول من التاريخ المرابطي قبل دخول الأندلس، حيث استولى على بلنسية عام 494هـ/1101م ثم تولى غرناطة وقرطبة، توفي سنة 508هـ/1114م، ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص60.

(6) نفس المصدر ، ص56.

(7) مدينة بالأندلس وهي من المدن القديمة الأزلية وأصل تسميتها من أشبالي ومعناها المدينة المبسطة ويقال أن اشبانيا اسم اسم خاص ببلد اشبيلية الذي كان يسكنه اشبان بن طيطش، وباسمه سميت الأندلس اشبانيا(حاليا اسبانيا)، وهي مدينة كبيرة عامرة وسكانها كثيرون ومياسير ومعظم تجارتهم الزيت، كما أنها حسنة المظهر عامرة بالحمامات والديار، الحميري: الروض المعطار، ص. ص85-59.

من قرطبة وآخر من غرناطة فضلا عن الكثير من المتطوعة[1]، فاتجه مزدلي بحشوده صوب أراضي قشتالة وأخذ يشن الغارات في أراضيها، وتمكن من افتتاح حصن أرجنة أو أرلبة(OREJA)[2]، ثم قصد المسلمون إلى مدينة طليطلة عاصمة قشتالة، وأحكموا حولها الحصار، وقد وصف ابن أبي زرع هذه الحملة بقوله:« وفي سنة سبع المذكورة 507هـ/1113م غزا الأمير مزدلي طليطلة وأنحائها، فدوخها، وفتح حصن أرهينة عنوة وقتل كل من كان به من الرجال وسبى النساء والذرية، اتصل الخبر بالبرهانس ملك الروم فأقبل لنصرتهم واستنقاذهم، فسمع به مزدلي فقصد للقائه، ففر أمامه ليلا، ورجع مزدلي إلى قرطبة ظافرا غانما».[3]

يبدو أن القائد النصراني البرهانس لما جاء لاستنقاذ النصارى في جيش قوامه عشرة آلاف فارس نشبت بينه وبين قوات المرابطين بقيادة الأمير مزدلي عدة معارك، أسفرت عن خسائر من الفريقين حيث قدر عدد القتلى القشتالين بنحو سبعمائة قتيل وبعدها رجعت قوات المرابطين منتصرة نحو قرطبة.[4]

وفي سنة 509هـ/1115م خرج أمير قرطبة محمد بن مزدلي الذي تولى القيادة مكان أبيه بعد وفاته سنة 508هـ/1114م مع جيشه لرد القوات القشتالية التي هاجمت ضواحي قرطبة حيث دارت معارك انتهت باستشهاد محمد بن مزدلي وجماعة من أعيان المرابطين[5]، وكثيرا من العسكر المرابطي[6]، ولما وصلت أخبار هذه الهزيمة إلى علي بن

---

(1) هو الأمير مزدلي بن بونلكان بن حسن بن محمد بن ترجوت، كان واليا على قرطبة وهو ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وله جهود كبيرة في الدور الأول من التاريخ المرابطي قبل دخول الأندلس، حيث استولى على بلنسية عام 494هـ/1101م ثم تولى غرناطة وقرطبة، توفي سنة 508هـ/1114م، ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص60.

(2) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص71.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص162.

(4) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص71؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص167.

(5) ذكر ابن عذاري بعضهم بقوله:« والأمير محمد بن الحاج، والأمير أبو إسحاق بن دانية، والأمير أبو بكر بن واسينو، ومات من الأمراء نحو الثمانين من وجوه المرابطين»، ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص61.

(6) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص162؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص61؛عبد الله عنان: المرجع السابق، ص72.

بن يوسف انزعج وتأسف لذلك، وعين على قرطبة ابن عمه الأمير أبو بكر بن يحي بن تاشفين، وكلفه بمهاجمة القوات القشتالية حيث استعد هذا الأخير لذلك واتجه نحو مدينة بياسة[1] وفي الطريق انضم إليه عبد الله بن مزدلي، وتم الاشتباك مع قوات القشتالين في 28 جمادى الثاني سنة 509هـ/1115م حيث انتهت هذه المعركة بهزيمة جديدة لقوات المرابطين.[2]

المبحث الرابع: استمرار الصراع القشتالي المرابطي حتى وفاة علي بن يوسف

استمرت العلاقات متوترة بين مملكة قشتالة ودولة المرابطين في الأندلس، ففي سنة 515هـ/1121م عبر الأمير علي بن يوسف إلى الأندلس للمرة الرابعة لإخماد الفتنة التي ظهرت بقرطبة[3]، وفي سنة 520هـ/1126م عبر تاشفين بن علي نحو الأندلس وذلك عقب وفاة الأمير تميم بن يوسف في ذات السنة، وقد كان تعداد جيشه نحو خمسة آلاف فارس[4] فارس[4] حيث« بعث إلى أجناد البلاد فأتوا، فخرج بهم غازيا إلى طليطلة فدخل حصنا من حصونها بالسيف، وهتك أحوازها»[5]، ثم سار تاشفين إلى الغرب والتقى النصارى القشتالين في موضع يعرف ب فحص الضباب فهزم النصارى وقتلهم قتلا ذريعا، وفتح ثلاثين حصنا من حصون بلاد الغرب وكتب بالفتح إلى أبيه.[6]

---

[1] مدينة بالأندلس مطلة على نهر يتجه نحو قرطبة، وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها مزارع ومنتجات الزعفران بها كثيرة، ومن أهل بياسة الأديب التاريخي أبو الحجاج يوسف بن ابراهيم الباسي مصنف كتاب" الإعلام بحروب الإسلام وغيره من تصانيفه" الحميري: الروض المعطار، ص.ص121-122.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق،ج4، ص61؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص169.

[3] مجهول: الحلل الموشية، ص86.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص164؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص133.

[5] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص164.

[6] عبد الله عنان: المرجع السابق، ص.133

لما كان عام 522هـ/1129م قام القشتاليون بغزوة كبيرة في الأندلس وتوغلوا حتى وصلوا قرب قلعة رباح[1] فتصدى لهم تاشفين وتمكن من ردهم على أعقابهم[2]، وفي سنة 523هـ/1129م غزا والي اشبيلية " واجدي بن عمر بن سير اللمتوني" بجيشه طلبيرة فانتصر بها وعاد محملا بالغنائم، ولكن أثناء عودته لحق به نحو الثلاثمائة فارس من القشتالين فألحقوا به الهزيمة، فلما سمع أمير المسلمين علي بن يوسف بذلك ألزم وجدي بن عمر فدية للأسرى، وعزله من منصبه حيث ولى مكانه الأمير أبو زكرياء يحي بن علي بن الحاج.[3]

وفي سنة 524هـ/1130م خرج الأمير تاشفين إلى حصن السكة(AZOKA) قرب طليطلة وحاصره وتمكن من فتحه عنوة[4]، وقتل من كان به واسر قائده فرند ومن كان برفقته برفقته من الفرسان ثم عاد تاشفين غانما ظافرا إلى غرناطة.[5]

وفي عام 528هـ/1134م وقع اشتباك بين القشتاليين وبين قوات المرابطين بقيادة تاشفين قرب إشبيلية، حيث تسلل جنود قشتاليون إلى خيمة تاشفين وكادوا يقتلوه غير أن أحد عبيد تاشفين قتل القائد القشتالي فولوا مدبرين[6]، وفي سنة 530هـ/1135م حاصر تاشفين جبل القصر وهزم القشتالين المتواجدين هناك[7]، وفي ذات العام انتصر تاشفين على القشتالين في وقعة "فحص عطية" وقتل منهم جموعا كثيرة وغم منهم[8]، وفي سنة

---

(1) تقع قرب جيان وهي بين قرطبة وطليطلة، ولها حصن حصين وهي مدينة محدثة في عهد بني أمية، ثم ملكها النصارى ولم تزل في أيديهم إلى أن استولى عليها الموحدون في وقعة الأرك الشهيرة عام 1195م، الحميري: الروض المعطار، ص469.

(2) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص.133؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص170.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق،ج4،ص80.

(4) ابن القطان: المصدر السابق، ص216.

(5) حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص171.

(6) نفس المرجع، ص.ص174-175؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص138.

(7) ابن عذاري: المصدر السابق،ج4، ص.ص94-95 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص.ص122-123.

(8) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص164.

531هـ/1136م غزا تاشفين بجيوشه أرض قشتالة واقتحم مدينة كركى القريبة من قلعة رباح ولم يجد فيها أحدا.[1]

ولما حل 532هـ/1137م هاجم تاشفين مدينة اشكونية[2] ودخلها عنوة، وقتل كل من وجد فيها واستولى على أسلابها ثم عاد ظافرا منتصرا إلى قرطبة ثم إلى مراكش[3] وفي سنة 533هـ/1138م خرج القشتاليون لغزو مدينة قورية دون جدوى وفي العام الموالي 534هـ/1139م وأفلحوا في انتزاع قلعة أورية من المسلمين والتي كانت قاعدة لجيوش المسلمين، ليأتي العام الموالي 533هـ/1138م أين خرج القشتاليون لغزو قلعة قورية[4] دون دون جدوى وفي العام الموالي 534هـ/1139م أفلحوا في انتزاع قلعة أورية من المسلمين حيث كانت قاعدة لجيوشهم.[5]

وفي عام 536هـ/1141م استولى القشتاليون على قلعة قورية بعد حصارها لمدة شهرين[6] وفي عام 537هـ/1142م هجم القشتاليون على قرطبة بقيادة " مونيو ألفونسيز" وأحرز نصرا كبيرا[7]، وفي عام 537هـ/1142م انتهت صفحة من صفحات الصراع القشتالي المرابطي بوفاة علي بن يوسف ولكن الصراع بقي ماثلا في صفحات التاريخ.

---

(1) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص142؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص176.

(2) من أراضي الأندلس مشهورة ببساتينها من تفاح وتين ورمان وضروب أخرى مختلفة، حيث أن الأرض تنبت من غير غراسة، الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص22، الحميري: الروض المعطار، ص60.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص164.

(4) تقع بالأندلس قريبة من مدينة ماردة وهي مدينة واسعة البناء من أحصن المعاقل، بها مزارع وضياع وضروب كثيرة من الفواكه، الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص164.

(5) حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص178.

(6) ويذكر يوسف أشباخ أن القشتالين قد أخذوا من المسلمين كأسرى ما يربو عن العشرة آلاف أسير، أشباخ : المرجع السابق، ج1، ص192

(7) حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص178؛ أشباخ : المرجع السابق، ج1، ص192.

بعد أن غربت شمس ألفونسو السادس ملك قشتالة القوي الذي عانت منه المسلمون في الأندلس معاناة قاسية ، استلمت مملكة أرغون راية حروب الاسترداد ضد المسلمين خاصة بعد أن تولى عرشها ألفونسو الأول الملقب بالمحارب، فكان الصراع العسكري بين المرابطين ومملكة أرغون حاضرا باستمرار.

المبحث الأول : سقوط سرقسطة في يد النصارى 512هـ/ 1118م

كانت العلاقات المرابطية مع بني هود في عهد يوسف بن تاشفين قد تميزت بالمهادنة، وقد أوصى يوسف ابنه علي بأن يهادن بني هود[1] لكن ما لبثت الأوضاع أن تغيرت.

في سنة 503هـ/1110م دارت معركة بين دولة المرابطين ومملكة أرغون حيث على إثرها استشهد الأمير أحمد المستعين بن هود في معركة فالتيرة (VALTIERRA)[2] غير أن ابن الخطيب يقول باستشهاده في 501هـ/1108م[3]، وبعد أن خلفه ابنه خاف على عرشه من المرابطين فاستنجد بملك أرغون[4] وبهذا التحالف أقدم المرابطون على الاستيلاء على سرقسطة وخلع ملكها، وكان أهل سرقسطة قد كتبوا إلى أمير المسلمين علي بن يوسف يدعونه إلى امتلاك بلادهم بعد أن اختار عماد الدولة الارتماء في أحضان النصارى فزحفت الجيوش المرابطية على سرقسطة[5] فتضرع لهم عماد الدولة بإبقائه في منصبه ولكن لم يكن له ذلك وعزل ودخلت سرقسطة تحت لواء المرابطين.[6]

أما ابن سعيد المغربي صاحب المغرب في حلى المغرب فينقل لنا تفاصيل انضواء سرقسطة تحت لواء دولة المرابطين بقوله:« ولما ولى علي بن يوسف إمارة الملثمين قلد

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص. ص82-83؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص74.

(2) ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص248؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص53.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام- فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- ، تحقيق: ليفي برونفسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص174.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص.ص53؛ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص284.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص99 ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص175؛ ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص248.

(6) مجهول: الحلل الموشية، ص99؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص74.

الأمور إلى أعيان البلاد من الفقهاء... وزينوا لعلي أخذ الثغر من يد عماد الدولة فكاتبه في ذلك فرغب إليه عماد الدولة أن يجري معه على ما كان عليه سلفه من سلفه[1] ويترك حاجزا بينه وبين النصارى، فأبى... فكان ذلك سببا إلى أن استعان عماد الدولة بالنصارى وخرج من سرقسطة، فملكها الملثمون».[2]

يتبين لنا من خلال المصادر التي بين أيدينا أن عماد الدولة صاحب سرقسطة اختار الذل والهوان وقرر الارتماء في أحضان النصارى، معطيا بذلك مثالا حيا عن الخيانة والتخاذل،غير أن يوسف أشباخ وصفه بالشجاع رغم أنه يعترف بأنه أقل ذكاء وفطنة من أبيه، ووصفه بأنه لم يقدر أن يوطد لنفسه نوعا من الاستقلال في تلك الفترة التي وصفها أشباخ بالعصيبة إزاء جيرانه الأقوياء من النصارى.[3]

ولما دخل المرابطون سرقسطة كان عماد الدولة قد غادرها بأهله وأمواله إلى حصن روطة المنيع(RUEDA) الواقع على نهر خالون(شلون) وبهذا انتهت مملكة سرقسطة وانتهى ملك بني هود وامتد بذلك سلطان المرابطين إلى الثغر الأعلى. وكان عماد الدولة تحت رعاية ألفونسو الأول المحارب ملك أرغون.[4]

في سنة 511هـ/1117م جهز ألفونسو المحارب جيشا عظيما لغزو سرقسطة فبلغ الخبر أمير المرابطين علي بن يوسف فكتب إلى أمراء غرب الأندلس يأمرهم بالسير إلى ناحية تميم حيث كان واليا على شرق الأندلس ليسيروا معه لاستنقاذ سرقسطة ولاردة[5] وبهذا وبهذا توافدت جيوش عسكرية ضخمة[6] لمواجهة جيوش النصارى التي كانت مكونة من الإفرنج والقشتاليين والاراغونيين[7] حيث نشبت بين المرابطين والنصارى حرب انهزم فيها

---

(1) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج2، ص438؛ مجهول: الحلل الموشية، ص98.

(2) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج2، ص438.

(3) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص147.

(4) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص74؛ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص24.

(5) لاردة بالراء المكسورة والدال المهملة مشهورة بالأندلس تقع غرب قرطبة؛ الحموي: المصدر السابق،ج5، ص7.

(6) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص163؛ حسين مؤنس: المرجع السابق،ص26.

(7) أشباخ: المرجع السابق،ج1، ص163.

ألفونسو المحارب وفقد ما يربو عن العشرة آلاف نفر واضطر إلى رفع الحصار عن لاردة وفي هذا الوقت تحديدا رجع تميم إلى مراكش[1] حيث كانت الأمور مضطربة، وغداة ذلك استغل ألفونسو المحارب ملك أرغون الفرصة واستنفر النصارى وعاود المجيء في جيش ضخم وضرب حصارا على مدينة سرقسطة حيث وصف ذلك صاحب روض القرطاس بقوله: « ورجع تميم إلى بلنسية فلما رأى ألفونسو الأول ذلك، بعث إلى طوائف الإفرنج يستنصر بهم على سرقسطة فأتوا في أمم كالنمل والجراد فنزلوا معه بها وشرعوا في قتالها وصنعوا أبراجا من خشب تجري على بكارات وقربوها منها، ونصبوا فيها الرعادات ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ووقع طمعهم فيها فأستمر الحصار عليها حتى فنيت الأقوات وفني أكثر الناس جوعا».[2]

ويعبر لنا الأستاذ عبد الله بن عنان عن الروح الصليبية التي غلبت على هذه الحرب حيث يذكر أنه شارك فيها إلى جانب ألفونسو المحارب كل من الكونت جاستون دي بيارن وأخوه سانتولو[3] والكونت دي تولوز وقوات أخرى كبيرة من البشكنس ومن قطلونية ومن أورقلة تحت إمرة سادة هذه المناطق[4] وكان في هذه الحرب كثير من الأساقفة ورجال الدين.[5]

بعد طول هذا الحصار أرسل أهل سرقسطة إلى ملك أرغون ألفونسو المحارب يطالبون منه أن يتوقف عن القتال مدة من الزمن[6] وقد قدم لنا كل من السلاوي وابن أبي زرع على ذلك

---

[1] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص163.

[2] نفسه

[3] وكانا هذان القائدان قد شاركا في الحملة الصليبية الأولى على المشرق التي أفضت إلى قيام الإمارات الصليبية في الشام وهذا دليل على أن الحرب الصليبية هي واحدة سواء في المشرق أو الأندلس.

[4] عبد الله عنان: المرجع السابق، ص90.

[5] حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص187؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص90.

[6] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص163؛ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص24؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص95.

بقولهم : « فإن لم يأتهم من ينصرهم أخلو البلاد وسلموها له »[1] وبعدها كتب قاضي سرقسطة ثابت بن عبد الله رسالة إلى الأمير تميم يستنصره فيها باسم الدين طالبين منه القدوم إلى سرقسطة لاستنقاذها من أيدي النصارى غير أن الأمير تميم تقاعس عن نصرة إخوانه المسلمين وتركهم يواجهون مصيرهم التعيس[2] انتظر المسلمون المحاصرون في سرقسطة قدوم أية مساعدات لكن دون جدوى فقرروا الخروج عنها إلى مدينتي مرسية و بلنسية[3] وبعد دخول النصارى إليها لحقت جيوش المرابطين حيث قدرها صاحب الروض القرطاس وكذا السلاوي صاحب الإستقصا بعشرة آلاف فارس لاستنقاذ المدينة من أيدي النصارى لكنهم وجدوا الأمر قد قضى وقد سكنها النصارى.[4]

وبهذا سقطت سرقسطة قاعدة الإسلام الكبرى في شرق الأندلس عام 512هـ/1118م وعجز المرابطون عن استردادها خاصة وأن المرابطون قد انشغلوا بأمر الموحدين الذين شكلوا حجر عثرة أمامهم.[5]

المبحث الثاني : موقعـــة كتنـــــدة 514هـ/1121م

لقد أخذ ألفونسو المحارب ينفذ مخططه التوسعي بكل دقة وإحكام، فبعد أن استولى على سرقسطة، أحكم قبضته على مدينة طرسونة سنة513هـ/ 1120م[6] ثم سار إلى برجة

---

(1) السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1994 ،ج1، ص126؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص163.

(2) السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص126؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص188.

(3) كان نص الاتفاق الذي عاهد به ألفونسو المحارب أهل سرقسطة ينص على أنه إذا لم يأتي من ينصرهم أخلوا المدينة وفسحوا له المجال لدخولها؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص163؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص126.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص163؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص126.

(5) حسين مؤنس: شيوخ العصر في الأندلس، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 1997، ص105؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص27.

(6) طرسونة من مدن الأندلس صارت تابعة فيما بعد لمدينة تطلية التي تبعد عنها بحوالي12ميلا وهذا لتكاثر عدد سكانها لخصوبتها واتساعها، وقد كانت مقرا للقادة المرابطين في الثغور، الحميري: الروض المعطار،ص389.

الواقعة جنوب تطيلة واستولى عليها وافتتح عدة حصون أخرى مثل "الاجون"، و" مالن" و "مجايون".[1]

وفي سنة 513هـ/ 1120م استولى الأراغونيون على قلعة أيوب[2] حيث وصف ابن أبي زرع ذلك بقوله: « وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة تغلب ألفونسو الأول ملك أرغون على بلاد شرق الأندلس واستولى على أكثرها وملك قلعة أيوب التي ليس في بلاد الشرق أمنع منها وألح على بالغارات على بلاد الجوف».[3]

فبلغ الخبر أمير المرابطين علي بن يوسف فكتب إلى أخيه الأمير أبو إسحاق ابراهيم بن يوسف والي اشبيلية يأمره بالسير إلى مقاتلة ألفونسو المحارب ثم كتب رسالة أخرى إلى قادة ورؤساء الأندلس يستحثهم ويستنفرهم بأن يسيروا بقواتهم إلى أخيه وأن يكونا تحت إمرته فاستنفر ابراهيم قواته وانضمت إليه قوات قرطبة وغرناطة و مرسية بقيادة ولاتها إضافة إلى جموع من المتطوعة والعلماء والقضاة.[4]

واشتبكت القوات المرابطية مع قوى النصارى في بلدة كتندة حيث دارت معركة كبيرة كان النصر فيها للنصارى والدائرة على المرابطين، وذلك في ربيع الثاني لعام 514هـ/ 1121م[5] وقد وصف ابن الأثير ذلك بقوله:« في سنة أربع عشر وخمسمائة خرج ملك من ملوك الإفرنج بالأندلس يقال له ابن ردمير، فسار حتى انتهى إلى كتندة وهي بالقرب من مرسية في شرق الأندلس، فحاصرها وضيق على أهلها وكان أمير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كبير من المسلمين والأجناد المتطوعة فسيرهم إلى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا أشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة نكراء وكثر القتل في المسلمين»[6] وقد

---

(1) حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،190 ؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص102.

(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص163؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص126.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص163.

(4) حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،191 ؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص103.

(5)ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص308 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص206 ؛ أشباخ: المرجع السابق،ج1، ص153.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص206.

كانت خسائر المسلمين فادحة حيث بلغت 20 ألف من الشهداء[1] خلاف من استشهد من العلماء و الفقهاء.[2] و في العام الموالي أي 515هـ/1121م جاء علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس [3] لكي يأخذ بثأر الهزيمة لكنه لم يستطع التقدم نحو سرقسطة لأن الطريق إليها كان قد اقفل فاكتفى بغزو نواحي طليطلة و البرتغال.[4]

ومن النتائج السلبية لموقعة كتندة هو استيلاء ألفونسو على دورقة وأنشأ قربها محلة محصنة جديدة لتكون حاجزا لصد الجيوش الإسلامية .[5]

المبحث الثالث: حملة ألفونسو المحارب في الأندلس

خرج ألفونسو من سرقسطة في أول شعبان سنة 519هـ/1125م[6] في قوة من أربعة آلاف فارس[7] وقيل خمسة آلاف مع أتباعهم من الرجالة والرماة وقد بلغوا خمسة عشر ألفا وكان معه الكونت (جاستون دي بيارن) الذي اشترك في حملة سرقسطة ومعه رجال الدين والأساقفة.[8]

وقد اخترق ألفونسو المحارب بلاد المسلمين مخربا ومدمرا كل ما قابله من قرى وحصون وسائر العمران ويهلك الزروع والمحاصيل.[9] ومضت القوات الأراغونية ومن معها إلى أن وصلت إلى بلنسية في20 رمضان فتصدت لها حامية مرابطية بقيادة واليها أبو

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1،ص308؛ أشباخ:المرجع السابق،ج1،ص153؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص103.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص206؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،191.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص86؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص164؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص126.

(4) حسين مؤنس: الثغر الأعلى،ص26.

(5) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص104.

(6) مجهول: الحلل الموشية، ص91 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4،ص69؛ أما ابن الأثير فيقول أنها في سنة 520هـ، ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص235.

(7) مجهول: الحلل الموشية، ص91.

(8) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص108؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،193.

(9) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص108.

محمد يدر بن ورقاء[1] وبدأت جموع المعاهدين تتوافد على ألفونسو المحارب وتهرع إلى الانضمام إليه، حيث اجتمعت له جموع وفيرة كانت تدله علي الطريق وتكشف له مواطن الضعف لدى المسلمين في المدن والحصون التي يمر بها وعلق على ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله:« وفي أثناء ذلك وصله عدد وافر من النصارى المعاهدين يكثرون سواده ويدلونه على الطريق وينبهون إلى المراشد التي تضر المسلمين وتنفعه»[2] ووصل إلى جزيرة جزيرة شقر[3] فقاتلها أياما. ولم يتمكن منها ثم رحل منها إلى دانية وقاتلها ليلة عيد الفطر وشق بلاد الشرق مرحلة مرحلة ومنزلة منزلة وشن الغارات على كل ما يمر به واجتاز على فج شاطبة ومرسية والبيرة[4] وبرشانة حيث توقف أياما ثم سار إلى مدينة بسطة وحاول منازلتها وافتتاحها لسهولة موقعها، وعلى ذلك علق صاحب الحلل الموشية« ثم تحرك إلى مدينة بسطة فلحقه الطمع فيها لكونها في بسيط من الأرض وأكثر حاراتها غير مسورة فلم يعنه الله عليها».[5]

ليتوجه بعدها ألفونسو المحارب إلى وادي آش بجيوشه ثم توجه إلى غرناطة فلما اقترب منها استبد الذعر والخوف بأهلها، وكثر الزعف و الارجاف وعلق ابن عذاري على هذا بقوله:« وانقطعت السابلة والواردة وقلت المرافق وتزاحم الناس في كل مدينة وسكتت المساجد والمصاطب والرحاب والخراب وكثر الجوع والارجاف والموجان بالنهار والليل، والأسوار معمورة بأهل البلدة وما نسي في الدور غير الصبية والنسوة وتوالت الأمطار وسالت الطرق

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص91؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4،ص70؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص108.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص. ص91-92.

(3) جزيرة بالأندلس قريبة من شاطبة وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار بها جامع ومساجد وأسواق وفنادق وحولها نهر، الحميري: الروض المعطار، ص349.

(4) البيرة بلدة قريبة من ساحل البحر بالأندلس لها مرسى وأهلا يغزون الروم والروم يغزونهم،الحموي: المصدر السابق،ج1، السابق،ج1، ص526.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص. ص92-93.

وضاقت النفوس أشد ضيقة».[1]، لم يستطع ألفونسو المحارب شن الهجمات ولبث في محله بضعة عشر ليلة بسبب تكاثف الثلوج والجليد والأمطار.[2]

ويذكر أن قوات المرابطين كانت متواجدة هناك رفقة قوات بلنسية و مرسية وقد صلى الناس صلاة الخوف وهم في أسلحتهم[3] وفي هذا الوقت بالذات وقع خلاف بين ألفونسو المحارب والمعاهدين بقيادة ابن القلاس[4] حيث تبادلوا التهم بإخلال شروط المعاهدة وبهذا قرر ألفونسو العودة إلى بلاده بعد أن رأى حصانة غرناطة فتحرك متجها إلى بلاده فلحقت به الجيوش الإسلامية التي أحرزت النصر في بادئ الأمر لكنها سرعان ما حدث اختلالات في المحلة الإسلامية فتشجع ألفونسو المحارب وقرر العودة إلى غرناطة لمحاربتها من جديد.[5]

حيث وصلها بعد أن عاث فسادا في القرى التي مر بها فدمر أرباضها وحرق زروعها وجمع سبيها، وأقام على بعد ثلاثة فراسخ من غرناطة وأقام ثلاثة أيام[6] ويبدو أن حصانة غرناطة حالت دون اقتحامها حيث عزم ألفونسو على الرجوع إلى بلاده وأثناء عودته كانت القوات المرابطية تتعقبه وتقتل الكثير من جنوده وما زاد الأمر سوءا هو تفشي الوباء بين جنوده حيث عجل في الرجوع إلى موطنه بعد أن عاث فسادا في المناطق التي مر بها وجمع الكثير من الغنائم وقد كانت مدة هذه الغزوة سنة وثلاثة أشهر.[7]

تأكد المسلمون من كيد جيرانهم المعاهدون حيث أفتى ابن رشد بتغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم وهو أخف العقاب لهم، فأخذ يوسف بفتواه ونفذها[8] وعلى أية حال فقد باءت حملة

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4 ، ص.ص70-71.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص. ص94.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص70؛ مجهول: الحلل الموشية، ص94 ؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج1،ص110.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص71 .

(5) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1،ص.ص228-229 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،ص.ص195-196.

(6) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص72.

(7) مجهول: الحلل الموشية، ص. ص96-97.

(8) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص.ص113-114 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص. ص97.

ألفونسو المحارب بالفشل لكنها كشفت ضعف الدفاعات الأندلسية وقصور خطط القادة العسكريين المرابطين[1] والأهم من ذلك هو أن النصارى المعاهدون الذين يعيشون في ظل الدولة الإسلامية ثبت تواطؤهم مع العدو لذلك تم إجلائهم إلى غير موطنهم[2] إضافة إلى اكتشاف حقيقة هي ضعف أسوار الأندلس التي لم تعد قادرة على حماية المسلمين لذلك أصدر أمير المرابطين أمرا يقضي بإعادة بناء الأسوار وتحصينها[3] وفرض على ذلك ضريبة عرفت بالتعتيب وخصصت مواردها لترميم الأسوار وإصلاحها.[4]

المبحث الرابع: استمرار الصراع المرابطي الأراغوني حتى وفاة ألفونسو المحارب

1- وقعة القلاعة 523هـ/ 1129م

لم تكن حملة ألفونسو لتحقق سوى اليسير من أهدافها لذلك عاود نشاطه العسكري، وهجم على أراضي الثغور[5] حيث كانت المناطق الواقعة شرق سرقسطة مثل لاردة و افراغة[6] ومكناسة والمناطق المجاورة لنهر أبوة حتى مصبه عند ثغر طرطوشة[7] وكانت رغبة الأراغونيين في الاستيلاء على ثغر طرطوشة لما له من أهمية كبرى[8] لذلك جهز ألفونسو المحارب جيشا للاستيلاء على افراغة ولاردة، فلما بلغ الخبر إلى أمير المرابطين

---

(1) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص113؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،ص.ص198.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص97 ؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج1،ص.ص114.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص97؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص73.

(4) حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،ص.ص199.

(5) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص116؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،ص.ص199.

(6) افراغة مدينة إلى الغرب من مدينة لاردة بنحو 18ميلا بها بساتين وأشجار متنوعة وهي مليئة بأشجار الزيتون بها حصن منيع ومباني حسنة الهيئة، ياقوت الحموي: المصدر السابق،ج1، ص227؛ الحميري:صفة جزيرة الأندلس،ص24.

(7) طرطوشة من مدن الأندلس تقع على سفح جبل منها ولها سرور حصين لها أربعة أبواب ملبسة بالحديد، بها جامع كبير كبير وحمامات وأسواق وعمارات وضياع، يكثر بها خشب الصنوبر الذي منه تصنع الصواري لغلظته وصلابته، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق: لويس مولينا، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد،1983، ص.ص74-75.

(8) وتكمن هذه الأهمية لهذا الثغر في ربط مملكة الأراغونيين بالبحر المتوسط.

علي بن يوسف خشي أن يعاود النصارى الكرة ويقوموا بتدمير كل الأمصار والأقطار التي وجدوها في طريقهم.[1]

أعطى يوسف بن علي الأوامر إلى تشكيل جيش لإرساله لمقاتلة النصارى وقد علق على ذلك ابن القطان بقوله:« فسقط على الرعية سودانا يغزون في العساكر، وكان قسط أهل الفاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم، يخرجون ذلك من أموالهم ففعلوا ومضت الحشود إلى مرسية وقائدها يدر بن ورقاء[2] وقائد العساكر كلها ابن مجوز[3].

حيث توجه يدر بن ورقاء وجيوشه إلى مرسية لدعم القوات المرابطين هناك التي كانت بقيادة أبي بكر بن محمد بن سير اللمتوني ووقع الاشتباك مع النصارى قرب موضع يسمى القلعة أو القلاعة[4] في الأندلس وكان ذلك في شهر رجب عام 523هـ/ 1129م.[5]

كانت أولى الاشتباكات توحي بانتصار المسلمين وفقا لما جاء في الرسالة التي أرسلها أمير المرابطين علي بن يوسف إلى الأمير أبو محمد بن أبي بكر[6] والتي أكدت أن قوات الجيوش الإسلامية أكبر من قوات النصارى.[7]

لكن الأمور لم تسر على ذلك النحو إذ سرعان ما انتصر الأراغونيون على القوات الإسلامية وهو ما يؤكده ابن القطان بقوله:« وانهزم المسلمون وتبعهم العدو وذهب أكثر

---

(1) ابن القطان: المصدر السابق، ص152؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،ص200.

(2) كان واليا على بلنسية سنة 519هـ/1125م أيام حملة ألفونسو المحارب على الأندلس،مجهول: مفاخر البربر، ص192.

(3) ويورده ابن عذاري باسم ابن الحاج أو ابن مجوز أو مقوز،ابن عذاري:المصدر السابق،ج4، 80.

(4) وتعرف باسم قليبرية (CELLERA) وتقع على ساحل البحر المتوسط على مقربة من جزيرة شقر(JUCAR)، ابن القطان: المصدر السابق، ص153.

(5) نفسه.

(6) والمعروف كذلك باسم قنونة نسبة إلى أمه أخت علي بن يوسف

(7) حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص.ص51-52.

الرجالة قتلا وأسرا، وجاز العدو الأسلاب والأثاث والدواب وذهب من المسلمين ما يزيد عن عشرة آلاف بين قتيل وأسير وبلغ ذلك علي بن يوسف فغاظه».[1]

بعد أن وصلت الأخبار إلى أمير المرابطين علي بن يوسف كتب رسالة يلوم فيها القائد المرابطي أبو محمد بن أبي بكر حيث جاءت فيها عبارات اللوم والعتاب ومنها: « توافقتم مع عدوكم وأنتم أوفر منه عدة أكثر جمعا، وأحرى أن تكونوا أشد على حريمكم منعا وأقوى دونه دفعا، فثبت وزللتم وجد وثكلتم وشد عقد عزيمتكم وحللتم وكنتم في تلك الوقيعة قرة عين الحاسد وشماتة العدو الراصد»[2]، بعد هذا الانتصار للنصارى توجه ألفونسو المحارب إلى ثغر بلنسية.[3]

2- وقعة افراغة 528هـ/ 1134م

عاد ألفونسو المحارب إلى استئناف نشاطه الحربي ضد المسلمين وكان أهم ما يشغله هو الاستيلاء على ما تبقى من قواعد الثغر الأعلى وإجلاء المسلمين عنها ففي عام 527هـ/1133م استولى على مدينة مكناسة[4] التي استسلمت بعد مقاومة شرسة ليتجه ألفونسو بعد ذلك إلى الاستيلاء على مدينة افراغة حيث فرض عليها حصار في رمضان 528هـ/1134م وعن ذلك يقول الحميري:« وحاصرها العدو في جمع كثيف و آلى زعيمهم ابن رذمير[5]على نفسه ألا يبرح حتى يأخذها عنوة وذلك سنة ثمان وعشرون وخمسمائة في

---

[1] ابن القطان: المصدر السابق، ص154.

[2] حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص51.

[3] نقل لنا الأستاذ عبد الله عنان نقلا عن الرواية النصرانية أن ألفونسو المحارب حاصر بلنسية في 523هـ/1129م وهذا ما يعزز رواية المصادر الإسلامية التي تقول أن المعركة نشبت بين الأراغونيين والمسلمين قرب بلنسية، عبد الله عنان: المرجع السابق، ص118.

[4] تقع عند ملتقى نهر سجري و أبرة وهي قاعدة محصنة، عبد الله عنان: المرجع السابق، ص121.

[5] والمقصود به ألفونسو المحارب ملك أرغون وتذكره المصادر العربية باسم ابن ردمير كابن أبي زرع وابن عذاري وتذكره تارة أخرى بابن رذمير مثل السلاوي والحميري وابن القطان.

رمضان منها».[1] إلا أن هناك خلاف حول السنة فقد اتفق ابن القطان في السنة مع الحميري حيث قال:« وفي هذه السنة(أي 528هـ/1134م) نازل ابن رذمير أفراغة».[2]

أما ابن الأثير فيجعل تاريخ وقوعها هو529هـ/1135م[3] وقد شكلت الجيوش الإسلامية استنادا إلى رواية ابن الأثير الذي قال بأن ألف فارس جاءت من قرطبة و500 فارس جاء بها ابن غانية و200 فارس من لاردة. وهذا دون ذكر القوات المرابطية في افراغة[4] أما يوسف أشباخ فقد قدر عدد القوات الإسلامية بعشرة آلاف فارس[5] في حين كانت القوات النصرانية تقدر باثني عشر ألف فارس[6] وقدر أصر ألفونسو على افتتاح افراغة مهما كلفه الأمر بل أقسم على ذلك[7] وقد اشتبكت القوات النصرانية مع المسلمين إلا إلا أن ألفونسو تملكه الغرور واستهزأ بالمسلمين، وعن ذلك علق ابن الأثير بقوله:« فاحتقر جميع الواصلين من المسلمين فقال لأصحابه اخرجوا وخذوا هذه الهدية التي أرسلها المسلمون إليكم».[8]

وكان في التصدي لهذه القوة النصرانية القائد عبد الله بن عياض والي لاردة وهزمهم وجاء ألفونسو المحارب بنفسه على رأس جيشه فهجم عليه ابن غانية وابن عياض واشتدت المعركة وكثر القتلى في صفوف النصارى، في هذا الوقت بالذات خرج أهل افراغة[9] جميعهم إلى خيام النصارى، فاشتغل الرجال بمن وجدوه من العساكر أما النساء فقد أوكلت إليهم مهمة جمع الأسلحة والأقوات وسائر ما وجدوه حيث حملوه إلى المدينة وبقي الحال

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص48.

(2) ابن القطان: المصدر السابق، ص235.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص287.

(4) نفسه

(5) يوسف أشباخ:المرجع السابق،ج1،ص173.

(6)) ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص287.

(7) يوسف أشباخ:المرجع السابق،ج1،ص173.

(8) ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص287.

(9) نفسه

على ذلك إلى أن لحق جيش إسلامي آخر بقيادة الزبير فكثر جنود الإسلام وانهزم النصارى.[1]

غير أن المؤرخ الألماني يوسف أشباخ يقدم لنا رواية مغايرة لما أوردته المصادر الإسلامية حيث يقول:« وعلى ذلك اشتبك النصارى مع المسلمين القادمين لنجدة المدينة(افراغة) في معركتين وهزم المسلمون في المرتين ولجئوا إلى الفرار».[2]

غير أننا لم نجد ذلك في المصادر الإسلامية التي طالتها أيدينا وهو ما يضع رواية أشباخ تحت دائرة الشك، وما يزيد من دحض مزاعم أشباخ هو ما عثرنا عليه في رواية ابن عذارى الذي قال:« وفي هذه السنة 528هـ خرج العدو ابن ردمير بشرق الأندلس، فكسره جيش لبن غانية صاحب مرسية ولم يسلم منه إلا بشر يسير، وأما الطاغية فبقي أياما ومات من مرض أصابه».[3]

ويذكر لنا يوسف أشباخ أن القوات الإسلامية لجأت إلى خديعة حينما ضعفت قواتهم حيث دبروا كمينا جذبوا إليه قوات النصارى حيث انقضت عليهم نخبة من المجاهدين وهلكت منهم جمهرة من الفرسان الفرنسيين واقفين وحشم كبير من الجيش.[4]

أما عن مصير ألفونسو المحارب فقد ذكر الحميري أنه فر إلى حصن على رأس جبل والمسلمون يتبعونه ثم هرب متسللا في الليل[5] أما ابن الأثير فيقول بأن ألفونسو المحارب عاد إلى مدينة سرقسطة فلما رأى ما قتل من أصحابه مات مفجوعا بعد عشرين يوما[6]وذكر

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص48؛ ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص287؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص235؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص123؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص206.

(2) يوسف أشباخ:المرجع السابق،ج1،ص173.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص93.

(4) يوسف أشباخ:المرجع السابق،ج1،ص173.

(5) الحميري: الروض المعطار، ص49.

يوما[1]وذكر ابن عذاري موته بعد الواقعة بأيام من جزاء مرض أصابه دون مزيد من التفاصيل.[2]

ويتفق يوسف أشباخ مع روايتي ابن عذاري وابن الأثير القائلة بوفاة ألفونسو المحارب بعد وقعة افراغة بأيام لكنه ينقل لنا رواية نصرانية تقول أن ألفونسو المحارب لما رأى هزيمة جيشه حاول أن يلقي بنفسه إلى المعمعة ليموت فتودد إليه أحد الأساقفة أو الرجال باسم الله أن ينقذ نفسه ، فغادر ميدان المعركة رفقة 60 من فرسانه ثم ما لبث أن عاود الرجوع إلى قلب المعركة فأجتذبه المسلمون إلى كمين وقتلوه و ذلك في 7سبتمبر 1134م ومعه نحو 300 من فرسانه[3] وقد نقل لنا هذه الرواية الأستاذ عبد الله عنان نقلا عن الروايات النصرانية مثل رواية صاحب الأخبار الطليطلية و رودريك الطليطلي وغيرهم.[4]

وعلى أية حال فقد كانت افراغة نصرا للمسلمين[5] وانهزام آخر للنصارى الذين مات زعيمهم ألفونسو المحارب وبذلك عاد شيء من الهيبة للمرابطين لكن الأستاذ عنان يتأسف لتخاذل المسلمين في استرداد سرقسطة وذلك لما حل بالنصارى من ضعف و تشتت لقواتهم.[6]

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص287، ويواصل ابن الأثير في ذات الصفحة قوله بأن هذا الملك النصراني كان أشد ملوك الإفرنج بأسا وأكثرهم تجردا لحرب المسلمين وأعظمهم صبرا.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص93.

[3] يوسف أشباخ:المرجع السابق،ج1، ص.ص173-174.

[4] عبد الله عنان: المرجع السابق، ص124.

[5] الحميري: الروض المعطار، ص49.

[6] عبد الله عنان: المرجع السابق، ص126.

الفصـــــــــــل الثالث:

صراع المرابطين مع مملكة أرغون في عهد علي بن يوسف

المبحث الأول : سقوط سرقسطة في يد النصارى 512هـ/1118م

المبحث الثاني: موقعـــــــــة كتنـــــــــدة 514هـــ/ 1120م

المبحث الثالث: حملـــة ألفونسـو المحـارب في الأندلس 519هـ/1125م

المبحث الرابع:استمرار الصراع المرابطي الأراغوني حتى وفاة ألفونسو المحارب

الفصل الرابـــــع:

صـراع المرابطين مع مملكتي البرتغال و قطلونية في عهد علي بن يوسف

واختلال أحوال المرابطين آخر أيام علي بن يوسف

المبحث الأول :حملة الأمير سير بن أبي بكر على غرب الأندلس504هـ/1110م

المبحث الثاني: موقعـــــــــــة الـــبورت 508هـ/ 1114م

المبحث الثالث: حملة الأمير علي بن يوسف لفتح قلمورية 511هـ/ 1117م

المبحث الرابع : أسباب اختلال أحوال المرابطين في آخر أيام علي بن يوسف

تعددت جبهات الجهاد للمرابطين، فإلى جانب مملكتي قشتالة وأرغون، كان يطمح أمير المرابطين علي بن يوسف لضم بعض الإمارات النصرانية في غرب الأندلس، على غرار مملكتي البرتغال و قطلونية ، فشن المرابطين عدة حملات لضم هذه المناطق، لذلك شهدت هذه الفترة العديد من الحروب والصدامات بين الطرفين.

المبحث الأول: حملة سير بن أبي بكر على غرب الأندلس504هـ/1110م

تعتبر البرتغال[1] المملكة النصرانية الجديدة الناشئة في كنف قشتالة، وقد بدأت في ظل أميرها هنري البرجواني (Enrique de Borgona) صهر ألفونسو السادس ملك قشتالة وزوج ابنته غريسا تنمو وتقوى سريعا، وكانت قاعدتها يومئذ مدينة قلمرية[2] وقد استغل البرتغاليون حالة الركود السياسي التي سبقت وفاة يوسف بن تاشفين وأخذت تنتهج سياسة توسعية في غرب الأندلس فاستولت على العديد من قواعد الغرب مثل يابرة وشنترة وشنترين[3].

في الوقت الذي كانت فيه الجيوش المرابطية تحاصر طليطلة في عام 503هـ/1109م، وجه الأمير علي بن يوسف في بداية سنة 504هـ/1110م حملة بقيادة الأمير سير بن أبي بكر اللمتوني والي اشبيلية صوب الغرب إلى أراضي البرتغال.[4]

ويذكر روض القرطاس أن الأمير سير بن أبي بكر تمكن في عام 504هـ/1110م من استرجاع بطليوس والبرتغال و يابرة[5] وشنترين و أشبونة، ويذكر الأستاذ محمد عبد الله عنان

---

[1] مدينة أزلية من قواعد غرب الأندلس، وكان بها جامع عظيم غيره الروم حين ملكوها عليها أعمال واسعة تحتوي على أزيد من ألفي قرية، بها الجوز واللوز والعنب والتين الكثير. مجهول: ذكر بلاد الأندلس،ص55.

[2] يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1 ،ص239.

[3] مدينة بالأندلس وهي مركبة من كلمتين شنت رين وهي من المدن المحصنة، بينها وبين قرطبة مسيرة خمسة عشر يوما وبينها وبين باجة أربعة أيام. الحموي: المصدر السابق، ج3، ص367.

[4] ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص112؛ السلاوي : المصدر السابق، ج1، ص120.

[5] يابرة مدينة بالأندلس قديمة متوسطة القدر ظريفة الشكل خصبة وطيب ماءها وهواءها و بها كثرة النسل. مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص55.

فتح بطليوس ويؤكد أنها ضلت منذ سقوط أسرة بني الأفطس[1] تابعة لدولة المرابطين، أما مدينة البرتغال فلم يحدث أن افتتحها قوات المرابطين في هذه الحملة ولم تصل قواتها إإليها.[2]

وصف ابن زرع انتصارات المرابطين هذه السنة بقوله: « وفي سنة أربع وخمسمائة فتح الأمير سير بن أبي بكر مدينة شريش وبطليوس وبرتقال و يابرة و أشبونة[3] وجميع بلاد الغرب، و ذلك في شهر ذي القعدة منها، وكتب بالفتح إلى أمير المسلمين علي بن يوسف»[4]، أما السلاوي صاحب الاستقصا فوصف ذلك بقوله:« وفي أربع وخمسمائة فتح الأمير سير بن أبي بكر شنترين وبطليوس ويابورة وبرتغال واشبونة وغير ذلك من بلاد غرب الأندلس»[5]، أما يوسف أشباخ فعلق على ذلك بقوله:« وعكف هنري على حماية حدود ولايته الجنوبية من غارات المرابطين بعزم وقوة، ولكنه لم يستطع أن يحتفظ بأشبونة وشنترين، أما شنترة[6] فقد فقدها حينا ثم استردها».[7]

---

[1] وكان جدهم أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الأفطس أصله من فحص البلوط، وكان من أهل المعرفة والسياسة والدهاء،وكان بطليوس واشبونة وشنترين رجل يسمى سابور، له دولته وكان يديرها له عبد الله بن مسلمة، ولما هلك سابور ترك ولدين لم يبلغا الحلم فإستأثر عبد الله بن محمد بالحكم وملك غرب الأندلس واستقامت له الأمور.ابن عذاري: المصدر السابق،ج3، ص.ص235- 236.

[2] عنان: المرجع السابق، ص75

[3] مدينة قديمة بالأندلس مطلة على البحر تمتد على نهر لها سور وقصبة منيعة، لها عدة أبواب مثل باب البحر وباب الخوخة والباب الغربي الذي هو أكبر أبوابها. الحميري: الروض المعطار، ص61.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161.

[5] السلاوي: المصدر السابق،ج1، ص125.

[6] شنترة غير مدينة شنترين وتقع شنترة على مقربة من البحر يغشاها ضباب دائم لا ينقطع، بها حصنان منيعان غاية المنعة، يشقها نهر منه تسقى الجنان والبساتين، وبجبل شنترة ينبت البنفسج وقد نقل لنا الحميري أن أعمار أهلها تطول لأنها صحيحة الهواء. الحميري: الروض المعطار ، ص347.

[7] يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص151؛ ويعطينا يوسف أشباخ تبريرا لسقوط هذه المدن بأيدي المسلمين بقوله:« بقوله:« وكان من المتعذر على النصارى أن يحتفظوا بهذه المدن نظرا لأن كثرة سكانها الغالبة من المسلمين، ولأنهم كانوا يؤلفون بذلك كتلة عظيمة».

لقد أورد عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب نص الرسالة التي تلقاها أمير المسلمين علي بن يوسف وتخص فتح شنترين وهذا بعض ما جاء فيها:« أدام الله أمر أمير المسلمين وناصر الدين ...والحمد لله رب العالمين ... وعلى محمد عبده وأمين وحيد الصادع بأمره و نهيه ... وكانت قلعة شنترين من أحصن المعاقل للمشركين وأثبت المعاقل على المسلمين، فلم نزل بسعيك الذي اقتفيناه، وهديك الذي اكتفيناه، نخضد[1] شكوتها وننحت أثلتها[2] ... ولما رأينا هذه القلعة الشريفة المناسب في القلاع ... قد استشرى داؤها واعيا دواؤها، استخرنا الله تعالى على صمدها وضرعنا إليه في تسهيل قصدها ... فقصدنا إليها، وهجمنا هجوم الردى عليها، في وقت انسدت فيه أبواب السبل، وأعيت أهلها بحول الله وجوه الحيل ... فنزلنا بساحة القوم، فساء صاحبهم في ذلك اليوم، فلم نزل نصاولهم ... و نشن الغارات على جميع الجهات ... وهذه القلعة التي انتهينا إلى قرارها، واستولينا على أقطارها، أرحب المدن أمدا للعيون، وأخصبها بلدا في السنين».[3]

المبحث الثاني: موقعـــة الـــبورت 508هـ/ 1114م

منذ مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر) خضعت برشلونة لحكم آل برنجيز، فحكمها مؤسس هذه الأسرة الكونت رامون برنجيز الكبير حوالي أربعين عاما، وقد نجح في خلال حكمه الطويل أن يأخذ بيد هذه الإمارة نحو التقدم والازدهار، وأن يوسع رقعتها على حساب المناطق المجاورة[4].

---

[1] الخضد هو الكسر في الرطب واليابس. ابن المنظور: لسان العرب، المصدر السابق ، ص1180.

[2] أثلتها أي أصلها، نفس المصدر.

[3] عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998،ص116 وما بعدها.

[4] سلامة محمد سلمان الهرفي، الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف يوسف بن تاشفين (500هـ – 537هـ) ، رسالة الماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1982م ، ص237.

وقبل وفاته أوصى بحكم إمارته إلى ولديه برنجيز ورامون على أن يحكموها في آن واحد، ولكن ما أن أدركته الوفاة حتى اشتعلت نيران الحرب الأهلية بين الأخوين، وبعد فترة قصيرة تولى الحكم برنجيز بعد مقتل أخوه، وحكم الإمارة منفردا إلى أن تخلى عن حكمها سنة 487هـ/1094م لابن أخيه رامون برنجيز الثالث[1]

كانت علاقات المرابطين في الأندلس متوترة جدا مع قطلونية[2] ففي عام 508هـ/1114م خرجت جيوش المرابطين بقيادة عبد الله أبو محمد بن الحاج والي سرقسطة[3] في حملة عسكرية مرابطية متجهة إلى مدينة برشلونة[4].

وكان يومئذ محمد بن عائشة رفقة القائد المرابطي محمد بن الحاج وفي طريق الغزو خرب جيش المرابطين حصن ثرفيرا(CERVERA) ثم وصلت جيوش المرابطين إلى أحواز عاصمة قطلونية[5] وبعدها خربت جيوش المرابطين ما وجدته من زروع وإباض، إلا أنهم عجزوا عن الاستيلاء على برشلونة وذلك لحصانتها وبعد ذلك واصلت جيوش المرابطين التقدم غربا بقيادة محمد بن الحاج حيث أمر بتقسيم الجيش إلى قسمين الأول منه أرسل معه قسطا كبيرا مما غنم وسبي وسار في الطريق الرئيسة المعروفة والقسم الثاني من الجيش

---

(1) وفي سنة 532هـ/ 1137م دخلت إمارة برشلونة تحت راية مملكة أرغونة. الهرفي: المرجع السابق، ص238.

(2) قطلونية يوردها ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان باسم قرطونية بضم القاف وسكون الطاء، ويكتفي بالقول أنها مدينة من مدن الروم. الحموي: المصدر السابق، ج4، ص373.

(3) سرقسطة من قواعد الأندلس كبيرة المساحة آهلة بالسكان شوارعها واسعة، حسنة الديار والمساكن متصلة بالجنان والبساتين، لها سور حصين من الحجارة، وهي على ضفة نهر كبير يأتي من بلاد الروم وكانت تسمى بالمدينة البيضاء واسمها مشتق من اسم القيصر الذي بناها. الحميري: الروض المعطار، ص317؛ منفردة بالنسيج الخاص بها حتى يقال النسيج السرقسطية، ياقوت الحموي: المصدر السابق،ج3، ص213.

(4) برشلونة مدينة الروم وهي على الساحل البحر ومرساها لا تدخله السفن إلا عن سابق معرفة، وله اربض وعليها سور منيع، وهي كثيرة الحنطة والحبوب والعسل واليهود بها يعادلون النصارى في عددهم. الحميري: الروض المعطار، ص.ص86- 87.

(5) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص160؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص24؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص211.

ترأسه بنفسه سالكا طريقا جبلية ضيقة مؤدية إلى سرقسطة لكن جيوش النصارى كانت تترصده[1] فوقع بينهما قتال عنيف أفضى إلى استشهاد الأمير محمد بن الحاج. [2]

وقد وصف لنا ابن أبي زرع ذلك الطريق الذي سلكه محمد بن الحاج ثم استشهاده وصف دقيق بقوله:« وأخذ هو على البرية لقربه من بلاد المسلمين، ومر أكثر الناس مع المغنم، وكان طريق البرية الذي أخذه محمد بن الحاج لا يسلك إلا عن طريق واحد لصعوبته وشدة وعره، فلما توسط الأمير محمد بن الحاج وأخذته الأوعار والمضايق وجد النصارى قد كمنوا له في جهة من تلك الجهات فقاتلهم قتالا شديدا قتال من أيقن بالموت واغتنم الشهادة، إذا لم يجد منفذا يخلص منه فاستشهد رحمه الله تعالى واستشهد معه جماعة من المتطوعة»[3]، غير أن ابن عذاري يجعل هذه المعركة واستشهاد محمد بن الحاج سنة 509هـ/ 1115م[4] غير أن ابن الآبار في كتابه المعجم يتفق مع ابن أبي زرع على 508هـ/ 1114م حيث يقول أنه استشهد في هذه السنة عند بموضع يعرف بالبورت[5] ولم ينج من هذه المعركة سوى قلة قليلة من الجنود ومعهم ابن عائشة[6] الذي أصيب إصابة أفقدته بصره فيما بعد[7].

---

[1] وكان ذلك ضمن كمين نصبه النصارى لجيوش المسلمين وكان عند حصن يسمى كونجست دل مارتو ريل(CONGOST DEL MARTORRELL). حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص24.

[2] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص160؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص61.

[3] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص61.

[5] وتعرف هذه الموقعة باسم البورت وهي كلمة إفرنجية تعني في اللغة العربية كلمة الباب، وقد اهتزت جنبات الأندلس لهذه الفاجعة التي حلت بالمرابطين. الهرفي: المرجع السابق، ص239.

[6] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161؛ عنان: المرجع السابق، ص75؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص25؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص216.

[7] حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص25؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص215.

وعندما بلغت أخبار هذه المعركة إلى أمير المرابطين علي بن يوسف أمر الأمير أبو بكر بن ابراهيم بن تفلويت بالخروج لغزو برشلونة انتقاما لاستشهاد محمد بن الحاج[1] فجمع جيوشه من مرسية ثم انضمت إليه جيوش سرقسطة واتجه شمالا إلى برشلونة مخترقا بلاد قطلونية حيث ضيق عليها الحصار لمدة عشرين يوما حتى هتكها وقطع ثمارها وخرب أنحائها وقراها[2] ثم دارت بينها حروب بعد أن خرج أمير برشلونة رامون بيرنجير[3] للقاء جيوش المرابطين وكان قد جمع أمير برشلونة هذا حشودا كثيرة من ليط وبرشلونة وبلاد أربونة[4] ودارت بينهما حروب كثيرة انتهت بخسائر بشرية من الفريقين ولكن الهزيمة حاقت بالمرابطين على ما يبدو[5] أما صاحب روض القرطاس فلا يقرر الفوز أو الخسارة لأي جهة جهة وإنما اكتفى بتقدير القتلى« فكانت بينهما حروب عظيمة مات فيها خلق كثير من الروم واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعمائة رجل»[6] بعدها قررت قوات المرابطين الانسحاب[7] أما القائد ابن تفلويت آخر القادة الذين شكلوا درعا لحماية شرق الأندلس فقد توفي بعد ذلك بعامين ليشتد الضغط والحصار على سرقسطة.[8]

---

(1) ذكر ابن أبي زرع أن الخبر لما بلغ أمير المرابطين علي بن يوسف آسف لذلك وولى مكانه أبو بكر بن ابراهيم بن تفلويت الذي كان عاملا على مرسية. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161.

(2) نفسه ؛ عنان: المرجع السابق، ص75؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص216؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص25

(3) يورده صاحب روض القرطاس باسم ردمير. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161.

(4) اربونة مدينة هي آخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي البلاد الإفرنجية، وقد خربها المسلمون المسلمون سنة 630هـ/1232م. الحميري: الروض المعطار، ص24.

(5) عنان: المرجع السابق، ص75 ؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص26.

(6) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161.

(7) حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص216 ؛ عنان: المرجع السابق، ص75.

(8) و يواصل وصفها بقوله أنها مدينة أزلية من قواعد غرب الأندلس وكان بها جامع عظيم غيره الروم حين ملكوها عليها أعمال واسعة تحتوي على أزيد من ألفي قرية، بها الجوز واللوز والعنب والتين الكثير، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص55؛ وهي مشتقة من اسم برتغالي(PORTOCALLE) ومعناها الثغر الواقع عند مصب نهر دويرة. يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص149.

المبحث الثالث: حملة الأمير علي بن يوسف لفتح قلمرية 511هـ/ 1117م

في عام 511هـ/1117م عبر أمير المسلمين علي بن ويوسف إلى الأندلس برسم الجهاد[1] لفتح قلمرية[2] إحدى مدن البرتغال، وتأهبت العساكر الأندلسية ولحقت بجيوش المرابطين، ومعهم الفقهاء والعلماء ولفيف من المجاهدين الزعماء فرسانا وراجلين، وبعد أن التحمت جيوش الإسلام قصدت قلمورية (COIMBRA) وحاصرها نحو عشرين يوما وضيق بها ثم انصرف عنها إلى اشبيلية و قد ذكر ابن عذاري أن عبد الله بن فاطمة و المنصور بن الأفطس قابلا جيوشا في بلاد الروم، ثم عادا إلى أشبيلية ومعهما غنائم كثيرة وأسرى كثيرون[3].

ويبدو من خلال رواية ابن عذاري أن الجيوش الإسلامية بقيادة المرابطين لم تتمكن من فتح مدينة قلمورية وإنما حاصرتها فقط، ثم عادت إلى أشبيلية غانمة من جزاء المعارك التي خاضتها مع البرتغاليين وهذا ما لا يتفق مع رواية صاحب الحلل الموشية الذي ذكر أن قلمورية تم فتحها فعليا بقوله:« وفي سنة إحدى عشر وخمسمائة افتتح فيها (علي بن يوسف) مدينة قلمورية ودوخ بلاد الشرك بجيوش لا تحصى، وكان أثره بها عظيما ».[4] بينما اكتفى ابن الخطيب بالقول أن أمير المرابطين جاز مرة ثالثة إلى الأندلس ونزل قلمورية ثم قفل عنها دون توضيح أكثر.[5] غير أن الأستاذ حمدي عبد المنعم ينقل لنا عن الرواية النصرانية النصرانية أن قلمرية ثم فتحها واقتحامها عنوة في 18 صفر 511هـ/1117م.[6]

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص64؛ مجهول: الحلل الموشية، ص86؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام،ص247.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص64؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص213.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص64.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص86.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام،ص247.

(6) حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص213.

أما يوسف أشباخ فإنه يخالف المصادر الإسلامية في تاريخ حصار قلمورية حيث يؤكد أن حصارها كان سنة 515هـ/1121م حيث يقول:« وجاز علي بن تاشفين بنفسه إلى أسبانيا في سنة 515هـ/1121م وهو يضطرم لهذه المحن، وغزا أراضي طليطلة و البرتغال وأثخن فيها واستولى على قلعة قلمورية الهامة واتى على جميع سكانها النصارى قتلا وأسرا، وهي واقعة لم تشر إليها الروايات النصرانية».[1]

المبحث الرابع : أسباب اختلال أحوال المرابطين في آخر أيام علي بن يوسف

ظهر على المرابطين في آخر أيام علي بن يوسف ضعف وعجز عن القيام والنهوض بعبء الدفاع عن الأندلس من هجمات القوات النصرانية، وكان هذا العجز نتيجة للتضحيات المتوالية التي تحملها المرابطون في الجهاد ضد الممالك المسيحية، وكذلك يرجع إلى جملة من العوامل يمكن أن نلخصها كالآتي:

- طول مدة الصراع المرابطي مع ممالك النصارى في شبه الجزيرة الأيبيرية وتعدد جبهاته، حيث كانت قوى أراغون و قشتالة والبرتغال و قطلونية كلها سيفا مسلطا على الجيش المرابطي[2]، كما أنهم استعانوا بقوى من الخارج مثل الفرنجة حيث يؤكد يوسف أشباخ أنه: « لم يكن في وسع النصارى المعاهدين أن يقوموا في الأندلس بشيء دون معاونة من الخارج »[3] ، ضف إلى ذلك أن البابوية كانت تبارك حروب النصارى مع المسلمين مما ساهم في إذكاء روح الحقد لدى جيوش النصرانية. [4]

---

[1] يوسف أشباخ: المرج السابق، ج1، ص153.لكن أشباخ يعاود التناقض مع نفسه حيث عاود الحديث عن مملكة برتغال في الصفحة 252 ويؤكد أن قلمورية لم تسقط حيث يقول: « واستطاعت أن تحافظ (يقصد مملكة البرتغال المسماة الدوناتيريزا وهي زوجة الملك السابق هنري البرغواني) على حدود البرتغال الجنوبية ضد المسلمين بالرغم من أن المرابطين اقتحموها مرة بعد أخرى، ومن أن مدينة قلمورية عاصمة البرتغال يومئذ كادت تسقط في أيديهم بعد حصار طويل 515هـ/1121م».

[2] عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، ص740.

[3] يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص154.

[4] محمد الصلابي: دولة المرابطين، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007، ص182.

- كان لتغير الأوضاع في الممالك النصرانية، وتوحد قيادتها وثبات جبهتها حوالي تسعة وعشرين عاما متتالية في يد ألفونسو الأول ملك أرغون و قشتالة الملقب بالمحارب، وتفانيه في حرب المرابطين تفانيا أدى إلى كسر شوكتهم والقضاء على جاههم في الأندلس برغم أنه لقي حتفه على أيديهم، ويكفي ما قام به، تلك الغارة الطويلة التي اجتاح فيها الأندلس من شمال لجنوب ومن شرق لغرب في مدة سنة وبضعة أشهر وقوات المسلمين ما بين مرابطية وأندلسية وتسير في آثاره أو تحتمي بالحصون، ولا شك أن هذه الغارة قد أسقطت من هيبة سلطان المرابطين وأشعرت الأندلسيين أن في إمكانهم الوثوب وانتزاع الأمر خصوصا بعد أن اشتد الصراع بين المرابطين والموحدين.[1]
- وفي الحقيقة أن الذي عجل بسقوط المرابطين هو اضطراب الأمور في الأندلس خاصة بعد استدعاء الأمير تاشفين بن علي إلى المغرب، وسحب عدد كبير من قوات المرابطين معه للمعاونة في مجابهة الموحدين فازداد كلب النصارى وهجومهم وتوالت هزائم المرابطين لانقطاع الإمدادات من المغرب بسبب اندلاع حركة المهدي، فهانوا في نظر الأندلس، كما يوضح ذلك صاحب الحلل الموشية « وكان أعظم ما تأيد به عبد المؤمن على المرابطين قيام أهل الأندلس عليهم لكونهم أخلوها من حماتها وأسلحتها»[2]
- ضعف دولة المرابطين من جراء الثورة التي قام بها محمد بن تومرت، وواصلها عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي، وقد وصفها يوسف أشباخ بقوله: « وما كاد ينتهي من إخماد هذه الثورة (ثورة قرطبة) حتى اضطرمت في أفريقية ثورة أخطر وأبعد أثرا واستغرقت كل اهتماماته وقواه، فلم يتح له أن يولي شؤون الأندلس كثير من عنايته »[3] ويعتقد الأستاذ حسن علي حسن أن شخصية ابن تومرت لعبت دورا بارزا في تأليب

---

[1] محمد الصلابي: المرجع السابق، ص183.

[2] مجهول: الحلل الموشية ، ص87.

[3] يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص153.

المصامدة على المرابطين، مما أدخلهم في صراع مستمر معهم وأنهك قوى المرابطين العسكرية. [1]

- طبيعة شخصية علي بن يوسف المتسامحة واللينة، فقد كان أمير المسلمين متسامحا مع الحركات التي ظهرت في دولته مثل حركة المريدين[2] أو ثورة قرطبة التي كانت سنة 515هـ/1121م[3] والتي تم حلحلتها بالطرق الودية، ودفع أهل قرطبة تعويضا من المال لأمير المسلمين علي بن يوسف جراء الخسائر التي لحقت بالمرابطين المقيمين في قرطبة[4]، وبذلك يتضح أن أمير المسلمين لم يكن ميالا لسفك الدماء أو التسلط، وأن تسامحه كان دائما يسبق قراراته، وقد وصفه صاحب الاستقصا بقوله « وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا ».[5]
- انغماس المرابطين في الترف والرفاهية والرقة مع مرور الأيام، حيث أن هذا الإقبال على الترف ومظاهر الدنيا خفف من جفوة المرابطين وخشونتهم التي كان يعتز بها يوسف بن تاشفين عند مقارنتهم بالأندلسيين، وسرعان ما نسي هؤلاء– في غمرة الحياة الجديدة – المبادئ الأولى التي قامت عليها حركة المرابطين، وبالتدريج فقد الملثمون الصفات التي جعلت منهم رجال حرب مظفرين، فتدهور حال الجيش المرابطي بالأندلس[6]

---

[1] حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس– عصر المرابطين والموحدين– ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1980، ص44.

[2] ظهرت هذه الحركة على يد حشد من الصوفية الفقراء وكان ابن برجان هو شيخ الصوفية في الأندلس، ودخلت في صراع مع المرابطين مع بداية 529هـ/1134م، وفرضت عليهم الدولة المرابطية المراقبة، ولكن هذه الثورة لم تبدأ فعليا إلا بعد وفاة علي بن يوسف، وكان بإمكانه القضاء عليها وهي في مهدها . عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين – عصر الطوائف الثاني – ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988،ص.ص49–71.

[3] مجهول: الحلل الموشية، ص. ص 89–87.

[4] يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص153.

[5] السلاوي: الممصدر السابق، ج1، ص132.

[6] عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج2، ص 738.

- مرور المرابطين بأزمات اقتصادية، فقد انحبس المطر سنوات وحل الجفاف والقحط بالمغرب والأندلس، وزاد من الأمر حدة أسراب الجراد التي أتت على الأخضر واليابس مما جعل الأوبئة تنتشر بين كثير من السكان خاصة السنوات المنحصرة بين 524هـ/1130م[1] و 530هـ/1135م كما أثرت هذه الأزمات على البنية الديمغرافية وشكلت بذلك تحديا آخر للسلطة الحاكمة. [2]

[1] حسن بولقطيب: جوائح وأوبئة مغرب في عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2002، ص.ص18- 19-50.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 196.

الخاتمة

من خلال كل ما سبق نخلص إلى النتائج التالية :

1-تعتبر شخصية علي بن يوسف شخصية فريدة في التاريخ الإسلامي لما امتاز به من علم ودين وعدل وحسن الخلق، وعرفت دولة المرابطين في عهده تطورا حضاريا في جميع الميادين، عكس ما حاول بعض المستشرقين طمسه، ووصفوا أمير المرابطين بالرجل التافه، واتهموا دولة المرابطين بالتخلف والبربرية، لكنهم اصطدموا بحقائق التاريخ الناصعة التي دلت على عظمة الأمير علي بن يوسف ودولته الميمونة التي شكلت طاقة نافعة للدفاع عن الأندلس وحماية حوزة الإسلام بهذه البلاد.

2-قامت الجيوش المرابطية بقيادة الأمير علي بن يوسف بملاحم و بطولات مشرفة في الأندلس، حققت فيها انتصارات رائعة على الممالك النصرانية خاصة في أقليش، و أفراغة، واسترجعت العديد من المدن والمواقع، وأوقفت حركة الاسترداد المسيحي وبذلك أحبطت كل المحاولات النصرانية الرامية للقضاء على المسلمين، وأخرت سقوط الأندلس عدة قرون أخرى.

3-أخذت الحروب التي كانت تدور رحاها بين المرابطين والممالك النصرانية في الأندلس طابع الحروب الصليبية، وليس أدل على ذلك كثرة نداءات بابوات أوربا لرعاياهم للانضمام للممالك النصرانية لمقارعة الجيوش المرابطية ، وقد اتضحت جليا في حصار سرقسطة عندما شارك فيه الرهبان والقساوسة والمتطوعة من أوربا، وكان من بينهم من شارك في حصار بيت المقدس.

4-كان لنفوذ المرابطين في بلاد الأندلس أثر واضح المعالم في الحروب الصليبية في الشام، إذ أن دخولهم الأندلس منع الممالك الصليبية التي كانت تتجه إلى بلاد الشام، بل إن ظهورهم في تلك المرحلة التاريخية في المغرب والأندلس قد حال دون اشتراك القوى الأوروبية بكل ثقلها في الحروب الصليبية في الشرق، وبذلك قدم المرابطون خدمات عظيمة وجليلة للشرق الإسلامي.

5- عرفت أواخر عهد علي بن يوسف رجحان كفة الممالك النصرانية على الجيوش المرابطية، ذلك يرجع إلى كثرة من سقط من قادة وعلماء المرابطين في ساحات الجهاد أمثال سير بن أبى بكر، ومحمد بن مزدلي، ومحمد ابن فاطمة، ومحمد بن الحاج، وأبى إسحاق بن دانية وغيرهم، وعجز الدولة عن تعويض هذه الخسائر لانشغالها في مواجهة المهدي بن تومرت، مما دفع علي بن يوسف إلى تعيين قادة في الأندلس يفتقرون إلى الخبرة العسكرية الكافية، وكان لذلك أسوء الأثر على حركة الجهاد في الأندلس. في حين كان النصارى يعوضون خسائرهم البشرية عن طريق السيل المتدفق من المتطوعة عليهم من أوربا.

6-يمكن أن نلخص عوامل تراجع سلطان المرابطين في آخر عهد علي بن يوسف إلى ثلاثة عوامل رئيسية: الثورات والفتن الداخلية وخاصة حركة المهدي بن تومرت، وكثرة غارات النصارى على المدن الأندلسية، وافتتان المرابطين بحياة اللهو والترف، ونتيجة لهذه العوامل لم تلبث دولة المرابطين بعد وفاة علي بن يوسف إلا أربعة سنوات.

حاولت في هذه العمل المتواضع أن أسلط الضوء على حلقة من حلقات الصراع المرير بين المسلمين بقيادة المرابطين والممالك النصرانية في الأندلس، في عهد علي بن يوسف.

رغم ذلك أعتقد أن فترة جهاد المرابطين في الأندلس،لا تزال تحتاج إلى الدراسة أكثر، خاصة بالاعتماد على المصادر النصرانية والمخطوطات النادرة، التي لم نستطع الحصول عليها، والتي تحوي على حقائق مهمة تتحدث عن هذه الفترة، فهذه دعوة للباحثين والمهتمين بتاريخ المرابطين، لإماطة اللثام على بعض الحقائق التي لا تزال مجهولة، وتحتاج إلى البحث و التمحيص.

الملاحق

ملحق رقم 01:

شجرة نسب المرابطين

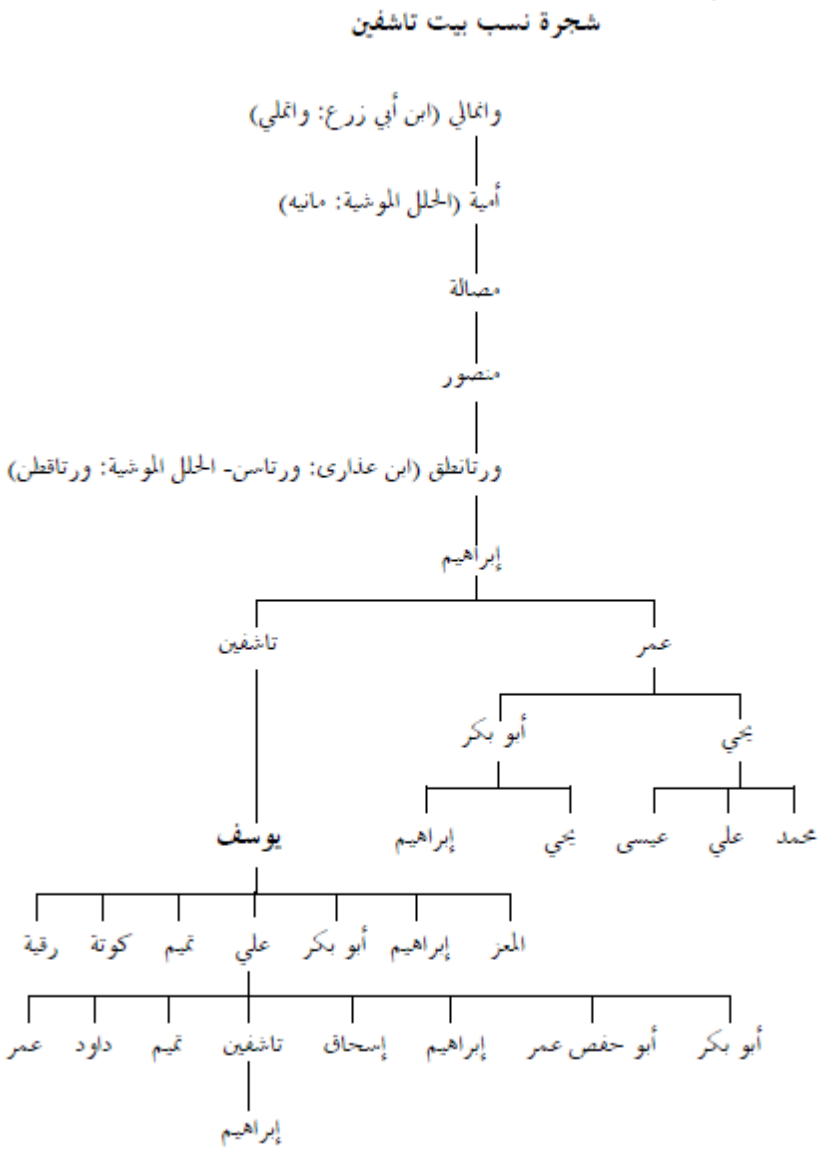

ابن أبي زرع : الروض القرطاس ، ص136 ؛ مجهول: الحلل الموشية ص24.

ملحق رقم 02:

أراضي الممالك النصرانية والإمارات الإسلامية أواخر القرن 5هـ في الأندلس

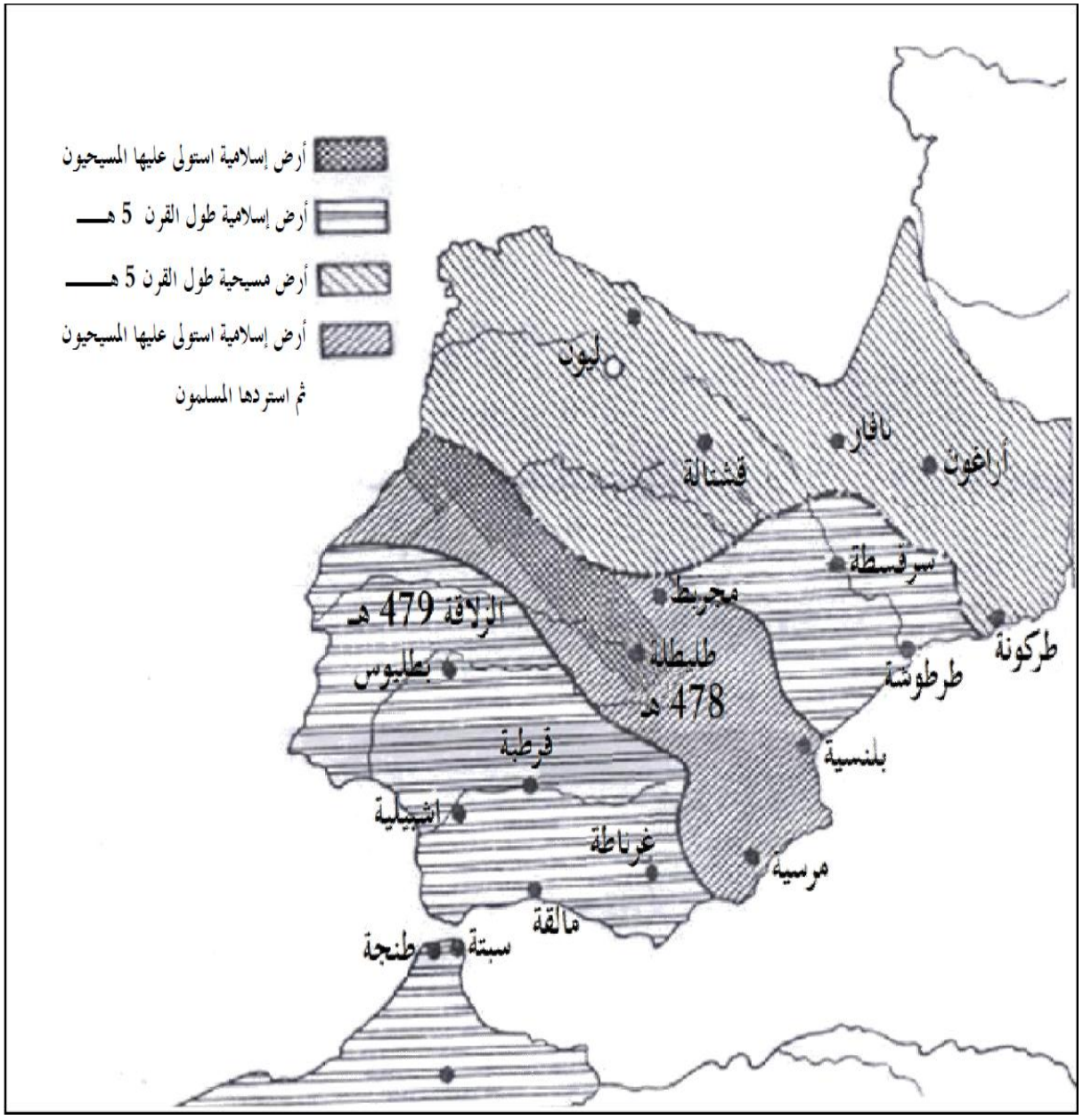

شريفة محمد عمر دحماني: العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف القرن 5هـ/11م ، ص343.

ملحق رقم 03:

دولة المرابطين في الأندلس عشية ولاية علي بن يوسف

حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص1.

ملحق رقم 04:

مواقع حروب المرابطين والنصارى حتى موقعة أفراغة سنة 528هـ

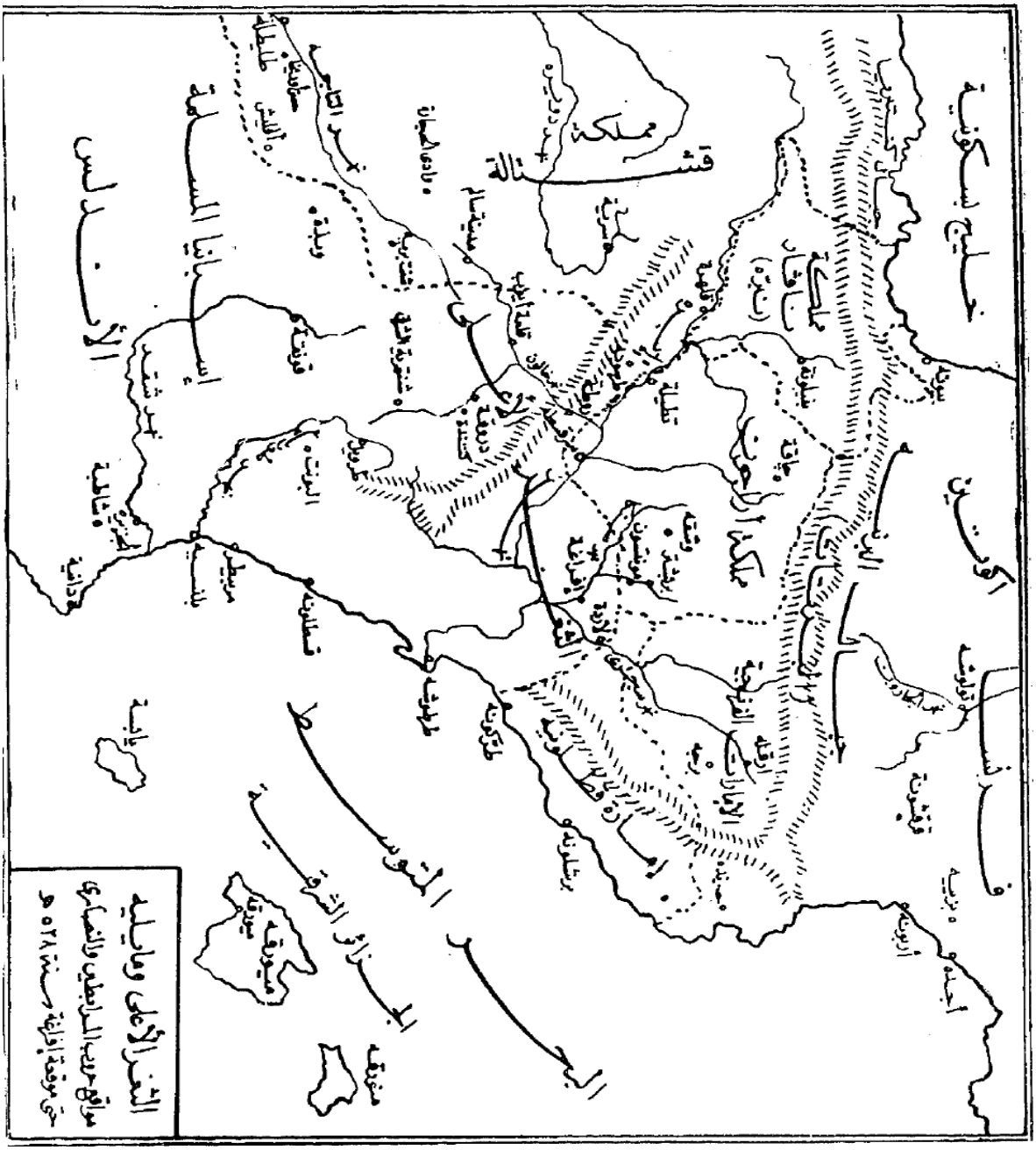

عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ص97.

ملحق رقم 04:

خط سير الذهاب والعودة لحملة ألفونسو المحارب على الأندلس 519هـ-520هـ

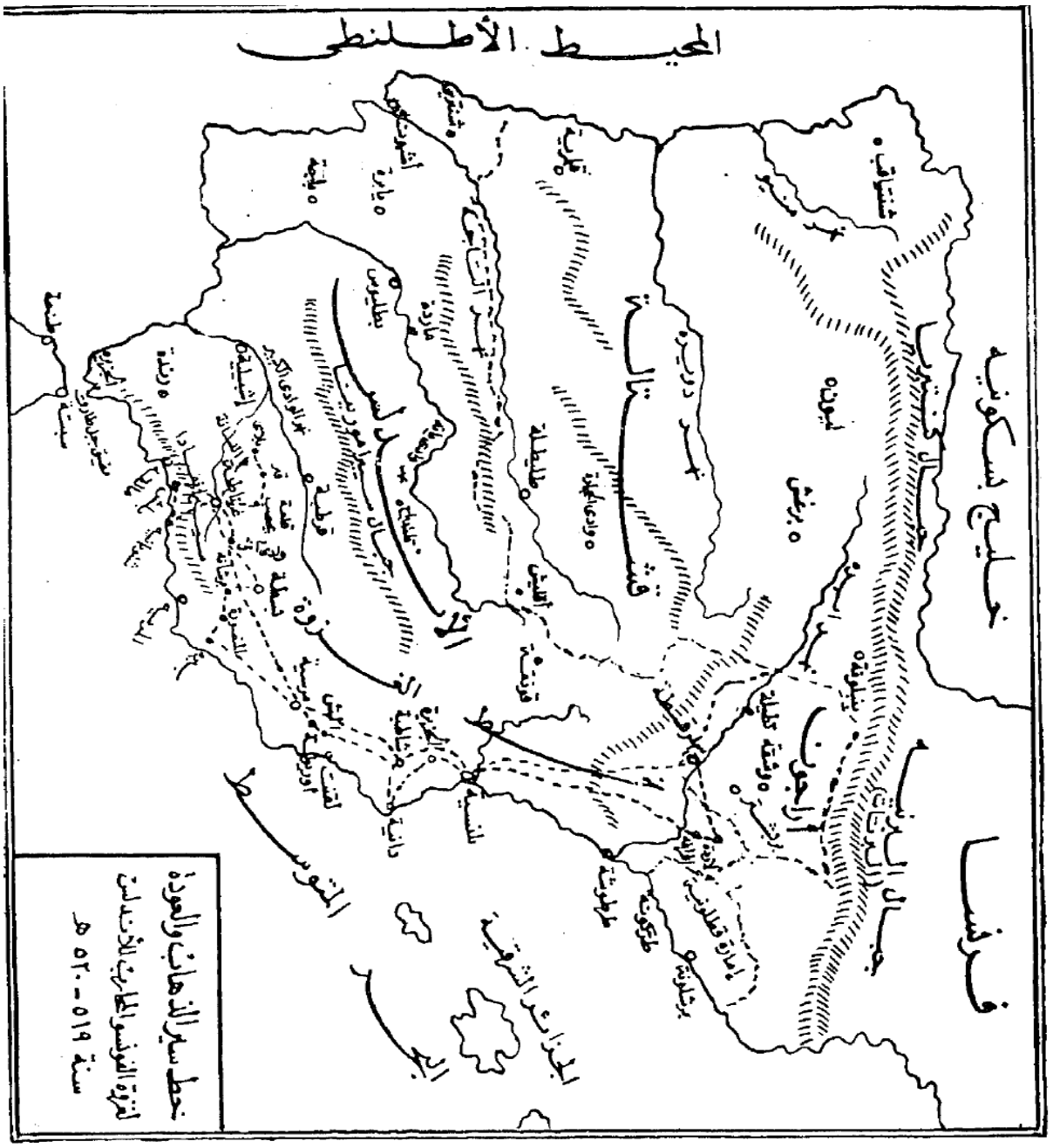

عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص115.

الببليوغرافيا

1- المصادر العربية:

- القرآن الكريم
- ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي(ت658هـ-1260م):

1- **الحلل السيراء** ، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة المصرية للطباعة، القاهرة، 1963، ج1.

2- **أعتاب الكتاب**، تحقيق:صالح الأشتر، ط1، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961.

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت 630هـ- 1233م):

3- **الكامل في التاريخ**، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1987 ، ج8، ج9، ج10.

- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني السبتي (ت560هـ/1165م):

4- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**،عالم الكتاب، بيروت، ط1، 1989، ج1.

5- **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983.

6- **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة ليدن، 1866.

- البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت487هـ /1094م) :

7-**المسالك والممالك**، تحقيق: أدريان فان ليوفن واندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ج2.

8- **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي، ط1، دار الرشاد، بيروت، 1968.

- ابن بسام ، أبو الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني (ت542هـ/1148م):

9- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ط1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1979، ج2، ج4.

- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك القرطبي (ت578هـ/1182م):

10- **الصلة** ، تحقيق: ابراهيم الأبياري، مج11، ط1،دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989،ج1.

- البلاذري ، أبو حسن أحمد بن يحي بن جابر(ت279 هـ/ 892 م) :

11- **فتوح البلدان**، تحقيق: عبد القادر محمد علي، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، ، 2000.

- ابن بلكين ، الأمير عبد الله بن بلكين الزيري (حي سنة 483هـ /1090م):

12- **مذكرات الأمير عبد الله- المسماة كتاب التبيان-**، تحقيق ليفي برونفسال، دار المعارف، القاهرة، 1988.

- التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحي (ت 628هـ/1230م):

13- **التشوف إلى رجال التصوف** ، تحقيق: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، 1997.

- ابن حزم ، أبو محمد علي بن احمد الفارسي القرطبي (ت 456هـ/1064م):

14- **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة ، د.ت.

- الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1229م):

15- **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1979، ج2.

- الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي(727هـ/1327م):

16- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1957.

17- **صفة جزيرة الأندلس**، تحقيق: ليفي برونفسال، ط2، دار الجيل، بيروت،1988.

- ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (ت 380هـ/990م) :

18- **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- ابن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الاشبيلي (ت529هـ/1135م):

19- **مطمح الأنفس ومسرح التآنس في ملمح أهل الأندلس**، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983.

- ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت300هـ/913م) :

20- **المسالك والممالك**، تحقيق محمد مخزوم، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ، 1988.

- الخشني ، أبو عبد الله محمد بن الحارث القيرواني ثم القرطبي (ت364هـ/975م):

21- **قضاة قرطبة**، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، ، القاهرة،1989.

- ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي(ت776هـ/1375م):

22- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1977 ، ج2.

23- **أعمال الأعلام- فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام-** ، تحقيق: ليفي برونفسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956.

24- **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثاقفة العربية، القاهرة ، 2002.

- ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م):

25- **تاريخ ابن خلدون- المسمى وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر-** تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6.

- ابن خلكان ، أبو العباس احمد بن محمد، البرمكي (ت681هـ/1282م) :

26- **وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، 1994.

- الدباغ ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد القيرواني (ت699هـ/ 1299م) :

27- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق: محمد ناضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1978، ج3.

- ابن الدلائي ، احمد بن عمر بن أنس العذري (ت 478هـ/1085م) :

28- **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الإخبار وتنويع الآثار**، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1348 م) :

29- **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤووط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000.

30- **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج2.

- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي(حي سنة 726هـ/1326م):

31- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ، 1972.

- الزهري، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت784هـ/1348م) :

32- **كتاب الجغرافية**، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.

- الزمشخري ، أبو القاسم محمود بن عمر(ت 538هـ/ 1143م) :

33- **أساس البلاغة**، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

- ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى المذحجي الغرناطي (ت685هـ/1286م):

34- **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1995، ج2.

35- **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970.

- السلاوي ، أبو العباس احمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م) :

36- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1994 ، ج1.

- ابن عبد الحكم ، عبد الرحمان بن عبد الله (ت257هـ / 871 م):

37- **فتوح أفريقيا والأندلس**، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.

- ابن عذاري ، أبو العباس احمد بن محمد المراكشي (حي سنة712هـ/1312م):

38- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

أ- الجزأين الأول والثاني، تحقيق: ج، كولان و.ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983.

ب- الجزء الرابع (قسم المرابطين)، تحقيق: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت ، 1983.

- أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت732هـ/1331م) :

39- **تقويم البلدان**، تحقيق: رينود والبارون ماك كوكين دسيلان، دار صادر، بيروت، 1840.

- ابن القطان ، أبو محمد الحسن بن علي الكتامي (ت 628هـ/1231م) :

40- **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

- القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي الفزازي المصري (ت 821هـ/1476م) :

41- **صبح الأعشى** ، المطبعة الأميرية ، د.ت ، ج5.

- ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر القوطي (ت 367هـ/977م) :

42- **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (580هـ / 1184م) :

43- **تاريخ الأندلس(لابن الكردبوس ووصفه لابن شباط)**، تحقيق: أحمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت ،ج3.

- مجهول (حي سنة 578 هـ / 1191 م) :

44- **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار- وصف مكة والمدينة ومصر، وبلاد المغرب** لكاتب مراكشي من كتاب القرن هـ/12م-، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، ط2، دار الشؤون الثقافية" آفاق عربية"، بغداد ، 1986.

- مجهول (حي سنة 783هـ/1381م) :

45- **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار و عبد القادر زمامه، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، 1979.

- مجهول :

46- **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق: لويس مولينا، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ، 1983.

47- مجهول (حي سنة 712هـ/1312م):

48- **مفاخر البربر**، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، 2005.

- المراكشي ، عبد الواحد بن علي التميمي (ت 520هـ/1126م):

49- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

- المقري: أبو العباس احمد بن محمد القرشي التلمساني (ت 1401هـ/1632م) :

50- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ج1.

- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي (ت1401هـ/ 1632م) :

51- **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، 1994، ج7.

- النويري ، أبو العباس احمد بن عبد الوهاب التميمي القوصي (733هـ/1333م) :

52- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: علي بوملحم، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت،2004، ج23، ج24.

- اليافعي ، أبو محمد عبد الله ابن سعد اليمني المكي (ت768هـ/1367م) :

53- **مرآة الجنان وعرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

- اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت284هـ/897 م) :

54- **كتاب البلدان**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988.

02- المراجع العربية

أ- كتب مطبوعة:

1-أرسلان، شكيب: **الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية**، مج3، منشورات دار الحياة، بيروت، ج3، د.ت.

1- البستاني، بطرس: **معارك العرب في الأندلس**، دار مارون عبود، د.م، 1987.

2- بلغيث، محمد الأمين : **دولة المرابطين بالأندلس، من مدينة السياسة إلى مدينة العلم**، دار الوعي، الجزائر، 2009.

3- // : **فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي**، ط1، منشورات أنتر سيتي، الجزائر،2007.

4- بولقطيب، حسن : **جوائح وأوبئة مغرب في عهد الموحدين**، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2002.

5- الحجي، عبد الرحمان علي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92هـ-هـ897) (711م-م1492)**، ط1، دار القلم، دمشق، بيروت،1981.

6- حسن ، حسن علي : **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس- عصر المرابطين والموحدين**- ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1980.

7- حومد، اسعد : **محنة العرب في الأندلس**، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،1988.

8- خطاب، محمود شيث: **قادة فتح الأندلس**، ط1، مج1، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، منار للنشر والتوزيع، دمشق، 2003.

9- دحماني محمد عمر: **العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف القرن 5هـ-11م**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006.

10- دندش، عصمت عبد اللطيف : **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين – عصر الطوائف الثاني** – ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

11- سالم، عبد العزيز : **تاريخ المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج2.

12- الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط7، مج4، دار العلم للملايين، بيروت ، 1986، ج4.

13- السيد، محمود: **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2004.

14- الصلابي، محمد : **دولة المرابطين**، ابن الجوزي ، القاهرة ، 2007.

15- العبادي ، احمد مختار : **في تاريخ المغرب والأندلس** ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ، 2001م.

16- عبد الله ، بن بية محمد محمود : **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، ط1، دار ابن حزم، بيروت،2000.

17- عنان ، محمد عبد الله : **دولة الإسلام في الأندلس- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس** – ، ط2، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1990.

18- العروي، عبد الله: **مجمل تاريخ المغرب**، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1996.
19- علي مكي محمود : **تاريخ الأندلس السياسي، دراسة شاملة: ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، ط2، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1999، ج1.
20- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف : **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.
21- أبو مصطفى، كمال : **محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته (المغرب والأندلس)**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر،2007.
22- محمد حسين، حمدي عبد المنعم: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، الازاريطة، 1997.
23- محمود، حسن احمد : **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، (د- ت).
24- مؤنس، حسين : **شيوخ العصر في الأندلس**، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 1997.
25- // : **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1992.
26- نصر الله، سعدون عباس: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس-عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين-**، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985.

ب- الموسوعات ودوائر المعارف:

1- **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة: أحمد الشنتناوي وآخرون، تحقيق: محمد مهدي علام، ج12.
2- الروضان ، عبد عون: **موسوعة تاريخ العرب-تاريخ، ممالك، دول،حضارة-**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ج2.
3-السرجاني، راغب: **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**، ط1، مؤسسة إقرأ، القاهرة، 2005، ج1.
4-وجدي، محمد فريد: **دائرة المعارف القرن العشرين**، بيروت ، د.ت، مج4، مادة مرابطون.

ج- المجلات :

1- بلغيث ، محمد الأمين: "**مشاركة يهود الأندلس الاقتصادية في عصر المرابطين ودورهم في نقل المعرفة الإسلامية إلى الغرب«ترجمة»**"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد السادس ، قسنطينة ، 2005.

2- شاكي ، عبد العزيز: **معركة أقليش – صفحة مشرقة من تاريخ المسلمين في الأندلس** –، دويرة كان التاريخية ، 2012م ، العدد16.

د- الأطاريح الجامعية :

1- بولعراس، خميسي: **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (440هـ- 479م / 1009م – 1086م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007.

2- حمون ، خالد: **دور الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في إيقاف الزحف الصليبي بالأندلس(479هـ-500هـ/1086م- 1106م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر،2011.

3- شاكي ، عبد العزيز: **التطور السياسي لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف (500هـ-537هـ / 1106م – 1143م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2011.

4- الهرفي، سلامة محمد سلمان، **الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (500هـ - 537هـ)** ، رسالة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1982م.

5- المراجع الأجنبية :

أ- **المراجع المعربة:**

1- أشباخ ، يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، تحقيق:محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996، ج1.

2- بروكلمان ، كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة: أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت، 1948.

3- دوزي ، رينهرت: **المسلمون في الأندلس**، ترجمة: حسن حبشي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1995،ج3.

4-ريسلر ، جاك: **الحضارة العربية**، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط1، منشورات عويدات ، بيروت، 1993م.

5-كاربخال ، مرمول: **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف،الرباط، 1984،ج2.

6-وات ، مونتغمري : **في تاريخ اسبانيا الإسلامية**، ترجمة: محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1998م .

ب- المراجع الأجنبية:

1-MAHFOUD KADDACHE: **l'algerie medievale ,société nationale 'édition et de diffusion**, alger,1982,p:101.

ج - دوائر المعارف الأجنبية :

2- MARC BERGE : **les arabes- histoire et civilisation des arabes et du monde musulman des origines à la chute du royaume de grenade**-,édition lidis, paris,1983,p:154.

تم بحمد الله